

طعم الذكريات

دكتورة
عطيات أبو العينين

دار الطالع



طعم الذكريات



مالت الشمس نحو المغيب، صانعة من الشفق الأرجواني وسادة لدنة لتستريح عليها بعد طول تجوال ذكرني احمرار شفقتها بمذاق طالما تذوقته من نسيمات رقيقة دغدغت وجهي، إلى أصابع خشنة عبثت برأسي، وأنامل حانية صفرت جدائي مع صوت عذب خشته حدة الزمن فراح ينساب في رقة وعذوبة كنهر صاف لم تعكره السنون.

ما أجمل الحنين إلى الماضي بعبقه وعذباته وحلاوته، بمرارته وطلاوته، والغريب أننا نجد في ذلك لذة لا تعادلها لذة، نحن للذكريات بما يحمله الماضي من آلام ولا ندرى كنه هذا السر العجيب.

لفحني هواء المغربية ذكرني بليالي الإجازات الجميلة بعد عناء الامتحانات والشعور بالراحة اللذيذة وليالي الكد والسهر، يتتابني ذلك الإحساس بالخدر اللذيذ، والدفء الذي يسري في أوصالي،

كلما مال القرص الذهبي ناحية الغرب وآذن بالرحيل، أذكر تلك السحب التي تركض في الفضاء خائفة مذعورة، وقرص الشمس ذابل حزين عاصب الجبين، يركض خلف السحب، وسكون البحر يشهد عليهما، فترى فيه خشوع الزاهدين، وأحلامي التي أراها في أيامي ومنامي، وكأني أرى أحلام الطفولة وهي تتوارى خلف الجبل العالي البعيد، وأرى سني الكبر وهي تركض نحوي كوحش ضار، كشر عن أنيابه، ولمعت عيناه ببريق الافتراس، وكأني أقع من أعلى صارية كنت أظنني بمنأى عن السقوط في أغوارها، ربما تلك الصورة جعلتني أحن للماضي البعيد بذكرياته وما فيه، فأتحيل نفسي تارة، سلمى في أشعار إيليا أبو ماضي، أو ليلي حبيبة قيس، فأراني وقد أمسكت بقصة لتشيكوف أو موباسان أو اندريه جيد أو ليوسف إدريس أو رواية لنجيب محفوظ، أو يوسف السباعي بوجهه الوسيم وضحكته العذبة فلطالما أمعنت النظر إلى صورته قبل أن أقرأ له أية قصة وكثيرا ما تخيلت نجيب محفوظ قبل أن أقرأ له فهو لا يضع صورته خلف الرواية مثل يوسف السباعي لكنني كنت قد رسمت له صورة عذبة من وحي خيالي علي قدر عذوبة كلماته وسريانها في دمي.

في زماننا فارس الأحلام هو أديب كيوسف السباعي، فلطالما حلمت أن أتزوج بمن يشبهه قلبا وقالبا وتقفز الذكريات وتندافع

إلى رأسي فأتذكر كرسيا هزازا يقبع بجوار النافذة أحتفظ بمكانه
لنفسي خصيصا للقراءة اخترت مكانه بجوار الشرفة، لأرى فيه
مشهدا بديعا لا يخلف ميعاده معي، فأوزع ناظري بين مشهد الغروب
الرائع، وسطور الكتاب التي تعلقت عيناى به، ولا أرضى عنهما
بديلا، ولكنني أحتضنه حتى لا يفوتني لون من ألوان الطيف.

فالألوان عالم له سحره أحاول اكتشافه وسبر أغوار أسراره،
ودلالاته تجعلني أحتضن العالم بأسره أحبه وأتمنى أن أعيش بطلا
في رواياته، أسبح في ألوانه وأظل أعد ألوان الطيف، وفي كل مرة
يفوتني لون من ألوانه، أحرص أن أبدأ به في المرة القادمة لكنني أعود
لنسيان إحداها رغما عني، بالرغم من أنها سبعة ألوان فقط لكنني
دائما أنسى لون منها إلا ذلك اللون، فالأحمر لا يمكنك أن تغمض
عينيك عنه فكيف لك أن تغض طرفك عن وهج الحياة وبهجتها،
يذكرني بوجنتي ابنتي ببراءتها وذلك الألق في عينيها البريئتين، لون
يذكرني بقراراتي الحازمة التي لا تستوجب مني أي تردد، وتلك
الحيوية والتدفق الذي يجري في عروقي عندما أرتديه، أحيانا أشعر
معه أنى قوة شجاعة أهيمن بمن حولي، وأتعلق بأهداب الحياة وأعشق
المغامرة، وأتمنى أن أعيش كل ضروب الإثارة.

أثقلب.. تارة أجدني طفلة وأحيانا طائشة ربما أنتمي لهؤلاء الحمر
الذين يعيشون ساعتهم ويحيون بكل حماس فالقضية الحمراء تشغل

الكثيرات من بنات حواء في الهند وغابات التبت يرمزون باللون الأحمر لقوة الخلق الموجودة لدي النساء و الطاقة المتدفقة بداخلهن، أمسكت بقلم أحمر الشفاه ورحت أرسمهما وكأني أحفر علي صفحة الذكريات لونا أعشقه، غير أن المشكلة لدي لا تكمن في ذلك اللون، ربما في اللون البرتقالي، فرغم أني أحبه إلا أنه يزعجني بعض الأحيان ولكي أرتيه لا بد وأن أكون في حالة مزاجية تسمح بارتدائه. فهو لون يرتبط والشخصيات الودودة المسالمة لكنني أحذر الباهت منه فهو يجعلني منكسرة ضعيفة حزينة وخائفة حاولت تذكر لون آخر من الألوان السبعة.. تعثرت ذاكرتي.. ربما.. تذكرت .. إنه الأصفر لا أدري لماذا أنسي ذلك اللون الذي يجعلنا نشعر بعالم من الغيرة واضطراب في المشاعر، عالم مقيت ربما يكون مليئاً بالحق والكرهية في نفوس كثيرة، هذا اللون تكرهه أُمي لا تستطيع تحمله أو مجرد رؤيته، هل ذاكرتي هي انعكاس لما يعتمل في عقل وقلب أُمي، هل أعيش ما تودني أن أعيشه فأرى العالم بقلبها وأحب بعقلها... ربما... لا أدري؟

كثيرا ما ردد البعض أنه اللون المفضل للأذكاء وبرغم شهادة الكثيرين لذكائي وقوة ملاحظتي لا أميل لهذا اللون ولا لما يقوله عنه البعض وبرغم أني شخصية عملية وموضوعية أحب المرح وأعشق الإنطلاق إلا أني أمقت هذا اللون وكأني في عناد مع ما يطلقونه علي

من يحبون كل أصفر.. فهو يذكرني بالشحوب والذبول والخريف في
اصفرار أوراقه.. وخبث الأقلام الصفراء وبالرغم من ذلك فأنا من
تلك الشخصيات المتفائلة التي تستطيع أن تختبر الإحساس والمشاعر
الجيدة والناضجة.

حاولت استدعاء اللون الأزرق فهو لون النفوس الحساسة
المرهفة، لم يهرب من ذاكرتي فأمامي السماء والبحر اللذان أعشقهما،
ولكني لست ممن يتمتعون بهذه الدرجة من برودة الأعصاب وعدم
الحزم والقوة .

عدت من جديد أعد ألوان الطيف التي استطعت تذكرها حتي
الآن محاولة الإمساك بتلابيب الذاكرة حتى لا يتسرب لون من
الألوان السبعة من ذاكرتي كما تفر المياه من المصفاة، ولا يستطيع أحد
أن يدركها أو يتشبث بها.

انتابني الملل فقررت الذهاب للسوق، توقفت أمام فاترينة إحدى
المحال التجارية، جذبتني بلوزة بسيطة ، ولأول مرة أقرر أن اشتري
ما أعجبني دون تردد، فأنا من ذلك النوع الذي يدقق فيم يشتريه،
ويلف مئات المرات حتى لا يغلبني بائع بشطارته، لأنني سأشعر
بحزن شديد إذا ما غلبني البائع ولن أسامح نفسي على خداعه لي،
وسأشعر بزهو الانتصار إذا استطعت أن اشتري ما أرغب بأقل
سعر، كثيرا ما لامني زوجي على هذا الوقت الضائع الذي أهدره

مع الباعة فهو يكره البيع والشراء ، ولولا أنني أشتري له احتياجاته وأحيانا أصطحبه معي عنوة للمقاس ما ارتاد محلا أبدا، فهو دائما ما يقول لي:

- أنت أدري مني بهذه الأشياء .

تذكرت كلماته وأنا أقطع الشارع القديم ذهابا وإيابا.. تغير كل شيء فيه، المحال ووجوه المارة ، حتى البائعين غدوا عابسين، جالسين علي مقاعدهم لا يبرحونها لدخول زبون وكأنهم يتمنون عدم شرائه، كنت أنظر في دهشة أين هذا من الزمن الجميل، الذي كان يقوم لك صاحب المحل، ويضع البضاعة كلها تحت قدميك، وإن لم تشتتر فهو الفائز بك لأنك ستعود حتما في يوم ما إليه.

شعرت أن ثمة شيء يدفعني لشراء هذه البلوزة المعروضة، لكن لم أستطع أن أحدد بالضبط ما هو هذا الشيء الذي دفعني دفعا لأن أتمسك بها، وكأنها مسألة حياة أو موت.. كدت أجن عندما أمسكت بها إحدى السيدات، ودون أن أدري وجدتني أرجوها أن تتركها لي، نظرت السيدة بتعجب وابتسامة ذات معنى وتركتها ومضت وهي تخبط كفا بكف وتمصمص شفيتها.

مرت أيام ونسيت هذا الأمر، ولكن يوما ما وبعد شهور طويلة فتحت خزانة ملابسني وأخرجت البلوزة، ووجدتني أتأملها، في تلك

اللحظة، قفزت الذكريات إلى ذهني بكل صورها وتفاصيلها وكأنني أعيش اللحظة

تذكرت يوم أن عاد والدي من رحلته إلى البرازيل ، وقد أحضر لنا بعض الهدايا، كان من بينها بلوزة من نفس الطراز الذي اخترته، نعم بل نفس تركيبة وتمازج الألوان بتدرجاتها المختلفة، وشعرت بمذاق لذيذ كنت قد افتقدته منذ زمن بعيد، عرفت أن للسعادة مذاقا لا نستشعره إلا ونحن نمضغ الذكريات، ونلوكها كقطعة من لادن نطرقعها بأفواهنا ونجترها ونتشوق بها أحيانا و لا تصل إلينا منها سوى تلك الفرقعات التي تذكرني بفرقة السوط الذي يتمطى في الهواء، تارة يأخذ علامة تعجب، وتارة علامة استفهام وأخرى دائرة غير مكتملة، وكنت أمتطي صهوة ذكرياتي، لا أملك اللجام فرحت أسابق الريح وكأنني خرجت عن حدود الزمن.

أتذكر والدي وهو يخرج الهدايا من حقيبته، وابتسامته لا تفارق شفتيه، يقص علينا قصة كل هدية من أين ومتى اشتراها وكيف لفتت نظره، كل منا يحتضن هديته وكأنه ملك العالم ، لم أدر بنفسي إلا والبلوزة بين ذراعي، فهذا المزيج الغريب من الألوان الذي ربما يشبه تمازج تركيبة ألوان عيون أبي.. تتماوج بين الأخضرار واللون العسلي

هذا الشعور الفطري دفعني في المرة الأولى، كما دفعني في الثانية لأن التقطها بين ذراعي كلقطة لعدسة فوتوغرافية ، تأبى أن تمر اللحظة دون أن تخلدها، وخالجنى شعور قوي بالسعادة، وماذا يهم في الأمر طالما شعوري هذا يجلب علي السعادة دون إضرار بالآخرين.

يتدافع سيل الذكريات إلى ذهني، فلا أستطيع أن أقاوم تذكر يوم أن زارنا في مدينتنا بورسعيد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بطلعته المهيبة، وحضوره الغريب، ووسامته وضحكته الجذابة لها بريق أخاذ، سحر شخصيته العجيب الذي يسيطر على وجدانك دون أن تعلم إلي أين أنت ذاهب ، كنت أتمنى أن أزور القاهرة حتى يتسنى لي رؤية اثنين في حياتي جمال عبد الناصر وعبد الحليم حافظ، كم تخيلت زوجا يشبه عبد الناصر في كل شيء، ويحمل من صفات عبد الحليم بصوته الدافئ وابتسامته العذبة فرغم حزنها إلا أن هناك سرا خفيا يدفعني وراءها ..

حملتني جدتي لأمي إلي عربة الرئيس جمال ككثير من أطفال المدينة، وإن كنت أرى أن ما حملني إليه الحب والشوق لرؤية شخصية أحببتها منذ الصغر لحب أبي إياها ، فتمنيت أن أراها عن قرب في عربته المكشوفة ليقبلني وظللت أحمل هذه القبله كوسام على خدي أفتخر به في كل مكان بين الأقران والقرينات.

ظل هذا المشهد محفورا في ذاكرتي ترويه لي جدتي حتى اليوم،
شغف والدي بحمل صور عبد الناصر في بطاقته الشخصية، على
الرغم أنه لم يكن يحمل صورة لجلي.

رحت أطوف كل ركن من أركان منزلنا وكأني أحلق حول أثر
مقدس، كم نشعر بالضياء عندما نفصل عن ذكرياتنا وماضيها،
عندما تنتزع منا الأرض التي سويت وجسدنا معا، لقد زاد ارتباطنا
بالأرض لأننا نمنا على أديمها، فلم نشهد رفاهية الطنافس و
الأوبيسون، ولكننا ولدنا ملتصقين بها، ننام على الأرض صغارا
وكبارا، وكثيرا ما كانت تهمس لنا بالأحلام، والحبيب والغد
القريب.

عشنا نسمع أنفاسها، ونوبات غضبها، حتى ضحكاتها، وبرغم
أننا نحمل ذكرياتنا في نفوسنا، إلا أن عبق المكان يمنحنا الحياة
وبدونها نشعر بالخواء وبانعدام الوزن ربما نستطعم في حلوقنا طعم
الذكريات.

أنطلق وتنطلق قدمي كظيين بريئين ضالا طريقهما في الفلاة،
داعبت النسائم اللطاف ذكرياتي في علبتها الحمراء المبطنة بالقطيفة
الناعمة كوجه وليد هبط لتوه من بطن أمه قبل أن تفسد نعومته
عوامل الطقس المتقلبة، واستطاعت أن تضرب أبقالها التي كانت

يوما تبرق بلونها الذهبي بعد أن اعتلاها الصداً، ولم تصمد الأقفال
الصدئة أمام رقة النسيمات ومداعبتها فسلمت أقفالها ومفاتيحها التي
تنوء بحملها دون تردد أو تراجع ، فدغدغتها حتى راحت تسربها في
نفسها.. نعم هنا..

في تلك اللحظة تذكرت جدي لأبي، ها هي غرفتها كما هي لم
تتغير إلا منها حتي إنني أتصت لحوائط غرفتها وهي تردد دائماً أصل
أنت بنت رأوة.



بنت رآوة



عدت من المدرسة أشعر بدوار و ارتفاع في درجة الحرارة، و
رعشة في أطرافي، قدماي لا تقويان على حملي، ارتميت علي أقرب
مقعد في حالة من الإعياء الشديد، ما إن وجدتني أمي على هذه الحال
حتى انزعجت وقالت لأبي:

- البنت تعبانة يجب أن نذهب بها إلي الطبيب أخشى أن تكون
مصابة بالحمى.

اضطرب أبي وقال لها:

- هيا بنا.

سمعت صوت جدتي من الداخل يصيح محتجا:

- ولا دكتور ولا حاجة ما تهولوش الموضوع، البنت محسودة..
أصلها بنت رآوة، وما تستحملش العين، من ساعة الست السخريّة

ما شافتها بعينها الصفراء، وأنا قلت يا ساتر أستر عدي اليوم ده على خير، لكن بسيطة بإذن الله.

طلبت جدتي من أبي أن يأتي لها ببعض الأغراض وقالت له:

- بص يا جمال تعدي على البلاسي العطار وأنت جاي، وتجيّب
مستكة وجهان وبخور جاوي وعين العفريت، وتفوت على أم
اسماعيل جارتنا تقول لها أنا عاوز ديك بعرف أحمر ويكون أعور،
و تروح سراية الست سهير الخوجاية هي غاوية القطط الشيرتازي
(الشيرازي) أبصر بتقولوا عليها ايه، وتجيّب مصارين قطعة من عندها
ومتنساش تروح لعمك سيد بلاميطه وتقول له على ناب سمكة
قرش.

احمر وجه أبي وقال لها:

- معقول يا أمي هو ده اللي ها يشفي البنت، دي طلبات عويصة
عقبال ما نجيبها تكون البنت راحت في خبر كان.

شهقت أمي وقالت:

- فال الله ولا فالك يلا بينا نلحق الدكتور.

وقامت الدنيا ولم تقعد فقد انتفضت جدتي وهي تزار مشوحة
بكل أطرافها في احتجاج.

تعجبت أمي مما يحدث وقالت لجدتي:

- هل ما تفعلينه سيخفض الحرارة ويشفي البنت !
رفعت جدتي حاجبيها ومصمت شفتيها وهي تقول:
- حرارة.. حرارة إيه.. وأبصر إيه اللي بتقولي عليه.. البنت
محسودة ..

مصممت أُمي شفتيها، وهي تكتم غيظها خصوصا أن أبي أشار
إليها أن تطاوعها حتى لا تغضب.. ارتدت أُمي ملابسها على عجل،
ألبستني بصعوبة بالغّة.. حملني أبي للطبيب، راحت أُمي تحدث أبي
بلهجة عتاب:

- هي مش ها تبطل أمور السحر والشعوذة دي؟
ابتسم ابتسامته الرقيقة العذبة وقال لها:
- يجب أن تتحملها..

انتظرنا دورنا عند الطبيب، وعندما فحصني الطبيب قال لأُمي:
- الحمد لله إنك جبتيها في الوقت المناسب..
نظرت أُمي إلى أبي بطرف عينيها نظرة ذات مغزى، وفهم والدي
ما تود قوله فأخفى ضحكته وحول وجهه للطبيب متسائلا:
- يعني ما فيش أي خطورة يا دكتور علي البنت؟

أجابه :

- البركة في المدام دايمًا تجيئها في الوقت المناسب، هاتشتغل هي دكتور وأنا ها قفل العيادة..

خرج أبي مسرعًا لإحضار الدواء، وتوجهنا عائدين إلى المنزل وما إن رأتنا جدتي ندلف من باب الشقة حتى صاحت:

- واد يا جمال .. جبت الطلبات.

ضحك والدي وقال:

- كل ده وواد برضه.

راحت تقول:

- هو أنت ما عشان شنبك كبر وخط في وشك خلاص يا وله بقيت راجل علي.

ربت والدي على كتفها وقال:

- العفو يا أمي .. واد وستين واد كمان .

راحت جدتي تعيد عليه نفس السؤال:

- جبت الطلبات يا واد؟

أجابها والدي في تلعثم:

- لا يا أمي بكره يحلها ألف حلال.

ردت جدتي:

- بكره .. وهي البنت ها تفضل تعبانة لبكره ؟

أجابها والدي:

- لا ما حنا جبنا العلاج الي كتبه الدكتور .

ردت في سخرية:

- دكتور إيه .. الي أنت جاي تقول عليه .. صدق العليل ولا

تصدق الطبيب ..

أشار أبي لأمي ألا تفتح فمها وانسحبا إلي غرفتهما بعد أن أدخلتني
أمي إلي سريري وأعطتني الدواء .

سهرت أُمي بجانبني طوال الليل لتعطني الدواء ، وفي الصباح
كانت حالتي قد تحسنت حيث انخفضت الحرارة ولكنني ما زلت
أشعر بدوار ، وأشارت علي أُمي ألا أذهب يومها إلي المدرسة حتى
أسترد عافيتي ، بكيت كثيرا فقد كنت أحب المدرسة .

أشارت جدتي علي أبي قائلة :

- انزل يا جمال عند عمك اسماعيل ، وهات من عنده جوز فراخ
شامورد علشان البت تأكل وتتغذى بعد التعب وماتنساش تجيب
الطلبات .

أحضر والدي كل شيء ما عدا مصارين القطة الشيرتازي كما

تسميها جدتي و ناب سمكة القرش، قابل أبي في طريق العودة مدام سهير صاحبة القطط الشيرازي وهى تسأل عن قطتها التي اختفت في ظروف غامضة، وقد وجدها في حالة شديدة من العصبية والتوتر حاول تهدئتها ليفهم منها الموضوع ، لكن حالتها لم تكن تسمح لها بذلك .. انفجرت مدام سهير في البكاء ثم مضت وهي تمسح دموعها عندما دخل أبي وجد أمه تتهكم مستهزئة من ثورة مدام سهير وكانت مرتدية معطف الخروج الأسود فسالها:

- أين كنت يا أمي؟

تجاهلت سؤاله ولا حقته بسؤال آخر :

- هل أحضرت القططة الشيرتازي يا واد وناب سمكة القرش؟
قال لها :

- طبعاً لا . وأنا ها ألقاها فين الحاجات دي !!

أشاحت له بيديها :

- كنت متأكدة إنك هتغرق في شبر ميه .. وبتقولوا رجالة.

أوصت جدتي كل البحارة والصيادين الذين تعرفهم ومن لا تعرفهم عن ناب سمكة القرش حتى تكمل رأوتها، وكان هذا الموضوع يسيطر عليها ويضايقها إلى حد كبير.. ذات يوم سمعت

من جارتنا أم اسماعيل أن أخاها السيد بلاميطه اصطاد سمكة قرش كبيرة وأتى ببعض أسنانه للذكرى.

قامت جدتي على عجل وذهبت لأم اسماعيل حتى تحصل علي ناب سمكة القرش ، وغابت ساعات طويلة وعادت متأخرة منهكة القوى، وما إن رأت والدي حتى وبخته على تقصيره في عدم الإتيان بناب سمكة القرش والقطة الشيرتازي.

- مش كنت وفرت على المجهود ده.. طب ده عمك السيد قعد يحكي لي حكاية القرش المخيف وطوله اللي وصل لعشرة متر ، وكل ما يضربوه على دماغه يزيد شراسة وهجم عليهم هجمة تصدق يا وادي جمال عشر رجالة ما قدروش عليه!..

قال لها:

- والنهاية يا أمي.

ضحكت بثقة وهي تلاعب حاجيها :

- بكره بمشيئة الله ها أرقى هند ، وها تبقى زي الفل ، وبكره تقول أمي قالت .

- والقطة الشيرتازي.

ضحكت وهي تحرك أمامه كيسا محكوم الإغلاق
آدي مصارينها.

حقيبتني الفرعونية



رحت أستلقي على ظهري لكثرة ضحكي، وأنا أتذكر ذلك اللقب الذي لقبتني به جدي «بنت رأوة»، ودون أن أدري كانت تلك الكلمات جواز مرور كلما وقعت بمشكلة لا أجد لها حلاً أو يستعصي علي حلها كنت أركن إلي أني بنت رأوة، كنت كمن حرموه من الماء لفترة طويلة حتى راح يلهث من العطش وجفاف حلقه ثم فجأة وجد نبعا من الماء لا ينضب، فراح يزدد الماء كحاجة المحموم لشربة ماء، ومما لفت نظري في غرفة جدي قطعة جلدية رسم عليها رسم فرعوني جميل أذكره جيداً رحت أستجمع الحروف والكلمات التي حفرت على بردية ذاكرتي وسرعان ما تذكرت حقيبتني الفرعونية.

بدلة بلون زيتوني جميل، لون من ألوان الحياة كأن الطبيعة تكسبني حلة جديدة، جاكيت محلي بقطعة من القطيفة الخضراء مع درجات اللون البرتقالي، وجهي يموج بالحياة النظرة التي أكسبتني الطبيعة

إياها، أعطتني أُمِّي دبوساً فرعونياً مميّزاً من العاج هدية لأعلقه على صدري، لم أنس ارتداء نظارة شمسية تتلاءم وموديل البدلة ولونها. صحتني والدي في نزهة للترفيه عني، إلي صديق عمره عمو «عزيز حنا» فهو يملك خانا تجارياً كان ملكاً لوالده وتفرغ عمو عزيز للخان بعد خروجه على المعاش، بحي الإفرنج كما كانوا يطلقون على هذا الحي حيث كان يسكنه قبل الثورة الأجانب من الإيطاليين والإنجليز واليونانيين، وجماليات أخرى، لقد كان عمو «عزيز» أقرب لوالدي من أشقائه، ولي من أعمامي.

حي الإفرنج ذو طابع خاص تميزه مبانيه التي صممت علي طراز أوروبي، وحوانيتها الفاخرة بواجهاتها البراقة، ونظافة شوارعه المبهرة، وتلك الميادين التي تتوسطها فسقيات تنير ظلمة الليل، وتنشر رذاذها الفسيفسائي على كل المارة فتبعث الندى أفراحاً كما يبعث الصباح العليل التفاؤل..

رحت أجوب ميدان المنشية بسعادة بالغة تطالعني النافورة الكبيرة بمياهها المتدفقة، كشاهد على عودتي للحياة، وكأن الحياة تمدني بإكسيرها لأنمو كما تنمو..

في الحانوت الذي يملكه صديق والدي «عمو عزيز» لفت نظري كم من الحقائق والملابس الفرعونية، بالرغم من صغر سني كنت أحب المصنوعات والمشغولات التي تأخذ الطابع الفرعوني

برسومها، لاحظ « عمو عزيز » أني أنفـرس في حقبة بعينها.. ثبت نظري عليها.. رائعة الجمال تجمع بين اللون الزيتوني واللون البيج الفاتح، ورسم عليها باللون الذهبي تمثال أبي الهول.. فقال لي: - أتعجبك الحقيبة يا هند.. خذها.

لم أصدق نفسي وأنا أتأبطها، فبدت مع حلتي تحفة فنية وكأنها صنعت خصيصا لتلائم بدلتي الجديدة التي صنعتها أُمي لي بيديها: وعندما عدت إلى البيت أعجبت أُمي بالحقيبة كثيرا، وسررت لأنني استطعت أن أختار شيئا جميلا تشني عليه أُمي، فقد كان ذوقها عال لا يضاهيها أحد في اختيار الملابس والألوان، فكانت هذه الشهادة بمثابة تصريح لي بأن ذوقي عال مثلها..

في غفلة وقت القيلولة ذهب الجميع لنوم العصاري، احتضنت حقيبتـي الفرعونية وأخذت حذاء أُمي ذا الكعب العالي الرفيع، ورحت أَلْف المنشفة حول خصري بإحكام، حتى أظهر كالفتيات الكبار، وهن يبرزن مفاتنهن ويتمايلن كالحوريات، وقد أحضرت جلادا من السوليفان الأحمر الشفاف، ووضعتـه على شفـتي ليقوم بدور أحمر الشفاه، ثم أخذت منه اللون الأزرق لأضعه كظل فوق العينين.

وقفت أتأمل نفسي وأنا أسير بالكعب العالي والماكياج، والجيب

الضيق، وقد فككت أسر جدائي، فبدا شعري غزيرا طويلا ناعما
حالكا، أختال بنفسي كفتاة كبيرة تحمل حقيبة بيد طويلة علي كتفها،
ترتدي حذاء أنيقا بكعب عال مدبب.. رحت أرقص به وأدبب
كرقصات الكلايكيت كما نراهن في الأفلام القديمة، استيقظ كل من
والدي علي صوت فرقعات الكعب العالي، وأخذت علقه ساخنة،
يومها كرهت الكعب العالي ورقص الكلايكيت والسوليفان وكل
أنواع الماكياج..

أعطتني الحقيبة الفرعونية شهادة جديدة بأني صرت فتاة كبيرة
أتأبطها، أختال بها في الذهاب والإياب، أرقب من بعيد إعجاب
الفتيان وحسد الفتيات وغيظهن، فمن منهن تمتلك حقيبة مثلي،
ولكن كانت تنقصني أشياء لأبلغ مبلغ الكبار.. «حذاء كعب عالي»
على مقاسي بدلا من هذا الحذاء الكبير الذي أبدو فيه وكأنني قزم
يلبس قاربا في قدميه، وسأخفي الحذاء في حقيبتى الفرعونية، علاوة
على ذلك فالحقيبة لابد أن يكون فيها قلم أحمر شفاه وزجاجة بارفان
وعلبة ماكياج لم أتعب في الحصول عليها فلقد كانت حقيبة أُمي
بالقرب مني رحت أنقل أشياءها إلى حقيبتى..

مازالت هناك أشياء أخرى لا تقل أهمية عن البارفان وأحمر
الشفاه. لابد أن تحتوي الحقيبة على أوراق مهمة، وهل هناك أهم

من أوراق أبي.. بطاقته العائلية، حجة البيت، عقد زواجه، بعض الكمبيالات، واجبة التحصيل إيصالات الكهرباء والمياه..

بعد أيام وجدت البيت في حالة ارتباك لم أرها من قبل.. الكل يبحث عن أوراق أبي.. ورحت أبحث معهم.. فتشت أمي في كل مكان، اتهمت البنت الشغالة قائلة:

- لا يوجد غيرها هي التي أخذت الأوراق.

أجابها والدي:

- حرام نظن فيها.. هذه الفتاة تربت وعاشت وسطنا طول عمرها.

تنهدت أمي وهي تقول بانفعال:

- إذن من مصلحته يسرق هذه الأوراق؟

أجابها:

- كثيرون يا عزيزي..

أجابت أمي بسرعة:

- ربما أحد إخوتك!

أجابها:

- منذ سنوات طويلة لم يزرنا أحد منهم.

احتار الجميع وجلس أبي وعلى وجهه أمارات الهم والحزن يفكر
فيم يفعل، ولم أتمالك نفسي فكيف لي أنا الطفلة الصغيرة أن أمتلك
في حقيتي كل هذه الأوراق المهمة وأبي قد فقد كل أوراقه.. اقتربت
منه ورحت أحدثه بصوت أوشك على البكاء:

- أحزين يا أبي؟

مر بيده على شعري وهو يقول في وجوم كأنه يحدث نفسه:

- وكيف لا أحزن.. وأنا لا أستطيع أن أؤمن حياتك يا صغيرتي..
فأنت لا تعرفين أهمية هذه الأوراق.. عندما تكبرين ويكون لديك
أوراق مهمة ستعرفين كم أنا حزين..

رحت أربت عليه ثم أخرجت من حقيتي حافظة الأوراق
أعطيها لوالدي وأنا أقول له :

- لا تحزن يا أبي ها هي أوراقي المهمة خذها حتى تجد أوراقك

راح يقلب في الأوراق بدهشة، ولم أجد سببا لتلك الصفحة التي
هوت على وجهي، بل زادت دهشتي لحرماني من الكعب العالي
والحقيبة الفرعونية.



المصحي

شق سكون الليل بصوته الجهوري :

يا صابر يا بصلة .. يا بصلة .. غدا في الثانية صباحا ..

أعادها ثانية ليتأكد من أن صابر قد سمعه لكن لا مجيب فجسده
المنهك من رحلة لم يمض عليها سوى سويغات لم ينعم بالنوم بعد ،
فصار هو والفراش شيئا واحدا .. يرى فيما يرى النائم ويسمع كمن
يأتيه الصوت من أغوار بئر عميقة ليس له قرار لكنه لا يستطيع أن
يرد . الصوت لا يزال ينادي :

- يا صابر يا بصلة .. يا بصلة .. غدا الساعة الثانية صباحا ..

استيقظت فاطمة زوجة صابر على صوت صداح « المصحي
» فهزت جسدها الذي صار أشبه بمومياء خلفها التاريخ من
زمن بائد وراحت تناديه :

- صابر .. المصحي ..

لم يحرك صابر ساكنا .. فالنوم على تعب كجائع هبط على
وليمة .. هزته ثانية وهي تقول :

- صابر سيفوتك الميعاد .. مسكين .. تسير المراكب على ربطتك
وأنت لا تجد من يربطك ..

هزته هذه المرة هزة قوية قام على أثرها متفضا يفرك عينيه وهو
يسعل بشدة ويجور كثور مل من دوران الساقية ، ثم ثأب وهو
يتساءل بصوت خالطه النوم والإنهاك:

- سفرة جديدة ؟

أومات برأسها دون أن ترد وهي تنظر له بإشفاق ، حرك رأسه
يمنة ويسرة كي يفك عنها أغلال النوم والإنهاك :

- وهل انتهينا من سابقتها ..

راح صابر ينفذ النوم عن عينيه ويسأل زوجته :

- ماذا هناك يا فاطمة ؟ ألم أقل لك مرارا لا توقظيني بهذه
الطريقة ..

ردت قائلة :

- إنه عم صداح المصحي يناديك اليوم الساعة الثانية صباحا .

نظر في ساعته فوجدها قد قاربت الثانية عشرة ولا يزال صوت
صداح يأتيه من الخارج كمغني يحفظ أغنيته عن ظهر قلب ويصدق
بها ويجود فيها وينوع في المقامات وهو سعيد كمن يشدو في دار
الأوبرا ..

فتح صابر زجاج النافذة وأطل منها وقال له:

خلاص يا صداح .. ستغنيها لي .. تارة سيكا وتارة نهاوند والحال
ماشي .

قبل أن ينصرف صداح ليوظ آخر أوقفه صابر قائلا :

- ألم أقل لك مرارا اشتر «نوبایل» أفضل لك ؟

ضحك صداح وراح يسعل حتى انتفخت أوداجه وقال :

- نوبایل حته واحدة . قل يا باسط .. نهايتي أنا وأنت على رصيف
الميناء في نهاية الخدمة ويزيد الله المحسنين .

انطلق صداح مسرعا علي دراجته بسرعة البرق كمن يرتاد
صاروخا وهو يؤنس وحشة ليله البهيم بصفيره المتناغم ويدندن
بأغنية لعبد الوهاب طالما أحب سماعها منه عمال الكنال اجري اجري
اجري .. يحب صداح مهنته ويحب زملاءه في العمل ويعشق دراجته
والطريق الذي يمشي عليه حتى القطط والكلاب التي تستقبله وهو
خارج إلى عمله في الفجر ..

شرعت فاطمة على الفور تعد لزوجها الحقيبة التي تعود أن
يستخدمها في أسفاره هذه والتي أفرغتها لتوها وهي تقول له :

- لم تأخذ قسطك من الراحة يا صابر ..

يرد عليها بلهجة استفهامية :

- وهل في الحياة راحة يا فاطمة أو اهمون نحن ؟

- لا عليك يا صابر .. هيا لتلحق بالمركب قبل أن تسير .. في رعاية الله .

يقبلها وهو يقول بصوت خفيض :

- ادع من قلبك ألا تكون المركب هذه المرة روسي ..

تضحك وهي تعقب :

- حقا فالسفرتان الماضيتان كانتا ناشفتين .. من الروسي إلى الهندي يا قلب لا تحزن .

- لا تذكريني بالهندي ، فيوم الهندي تظل معدتي خاوية تحتج وهي مغلقة على أنقاضها منذ أن أخرج من البيت إلى أن أعود إليه ثانية حتى أنفي تعترض هي الأخرى على رائحة الخنزير والخمر أحاول بكل الوسائل أن أغلقها حتى لا تتسرب إليها تلك الرائحة العفنة لكن دون جدوى ..

إذن عليك وعلى التفاح الأمريكاني ..

- أعود بالله يغور ويغورون معه ربنا يكفيننا شرهم .. دعيني الآن يا فاطمة فالمركب سوف تتركني .. قبلي الأولاد .. ربنا يرزقني برزقكم .

لمح صداح يأتي من بعيد متمهلا وهو يناديه ..

- لا تنس يا صابر المعطف الذي أوصيتك عليه .

ادع لي أن يكون الطريق هذه المرة خيرا وبركة ..

قفز صابر داخل القارب الصغير الذي نقله بدوره إلى السفينة وكما توقع كانت روسية "ناشفة" على حد قوله .. وبالرغم من ذلك عاد من سفرته يحمل كيسا يتأبطه وكأنه يتأبط ذراع حبيبته المشتاق إليها ويخشى أن تفلت من تحت قبضته وراح يتجول ببصره يمينا ويسارا باحثا مرددا :

- أين هذا الرجل العجوز صداح ؟

اصطدم صابر بصلة بزميله يوسف الضبع فأوقع رغما عنه بالكيس الذي يتأبطه وراحا يلمان محتوياته وهو يسأله :

- يوسف .. ألم تر عم صداح المصحي ؟

مصمص يوسف شفثيه وهو يقول بتأثر :

- العمر الطويل لك يا صابر فقد قابل وجه كريم ..

سقط الكيس رغما عن صابر وهو يصيح :

- مات ..

تنهد يوسف معقبا :

- تناول العشاء في بيته وطلب من زوجته كوبا من الشاي راحت تعده وعادت لتجده لفظ أنفاسه . كانت جنازته بالأمس .

دمعت عينا صابر وهو يردد :

- مسكين يا صداح ظللت تحلم بمن يوقظك ولن تستيقظ بعد

الآن أبدا ..

بادره يوسف قائلا :

- لقد اختاروك في الميناء مكان عم صداح ..

انتفض صابر صائحا :

- مصحي ؟

- أجل فأنت أكبرنا سنا والدور عليك ستعمل منذ الآن على

البر..

تجههم وجه صابر فصار أكثر عبوسا وقد تداخل حاجباه مع
جبهته ليكونا رسما عجيبا أشبه بتلافيف الأمعاء فلا يظهر منه شيء ..
وصل صابر إلى منزله متجههم الوجه عابس ، وراح يقص على زوجته
ما حدث .. قالت مهونة عليه :

- لقد حان الوقت لترتاح من عناء البحر والسفريا صابر .. فأنت
لا تدري كم عانينا في غيابك طوال السنوات الماضية وكم أعاني في
كل سفرة إنني لا يغمض لي جفن وأظل أدعو بكل الأدعية التي
أعرفها والتي لا أعرفها حتي تعود لنا سالما ..

هز رأسه قائلا كمن يحدث نفسه :

- أنا كالسمك لو ترك البحر يموت ..

بعد الشر عنك . هيا أدخل لتنام فأنت متعب من السفر .

ضحك بمرارة وهو يقول :

- عندي وردية ..

ارتدى صابر المعطف الذي كان قد أحضره لصداح وانطلق بعجلته وهو يردد أغنية عبد الوهاب اجري اجري اجري ، فهو يحب مهنته وأصدقاءه في العمل ويعشق دراجته والطرق الذي يمشي عليها حتي القطط والكلاب التي تستقبله .. وتحت شباكه وقف ينادي :

- يا صابر يا بصلة استيقظ لقد كنت في غفلة طويلة ..

ثم انطلق يحدث نفسه هو يضحك في سخرية :

- عجيبة أقدارنا .. نظل نائمون عهودا طويلة ونوقظ غيرنا مع

إننا أولى منهم باليقظة لكنها أقدارنا .. تسعى إلينا ونسعى إليها وننام ليستيقظ غيرنا ونستيقظ لينام آخرون .. نم يا صداح هنيئا لك

فلقد استيقظنا بنومك .



ليلة زفاف



أيقظه الظلام الدامس الذي يحيط به ، راح يتحسس المكان من حوله .. ما الذي أتى به إلى هنا ؟ .. صداع رهيب يدق رأسه بعنف .. وآلام مبرحة في أنحاء جسده .. حاول أن يتذكر آخر لحظات يقظته قبل أن يفقد وعيه .. لكن الظلام يحتم على ذاكرته ، استطاع بصعوبة أن يرى من كوة ضيقة في جانب من ذاكرته الكليلة بصيصا من أحداث الماضي القريب وسمع هسيسا لم يتبين مصدره أهو زغاريد فرح أم صرخات ألم ، وتلك الأيدي التي تصافحه هل جاءت لتباركه أم لتصفعه ..

بدأ يسترد وعيه المفقود .. وذاكرته الزاوية .. كانت ليلة زفاف انتظرها لسنوات طويلة وها قد جاءت اللحظة التي كثيرا ما حلم بها .. فوزية بجانبه .. تبدو في أبهى حلة ما أجمل النظر إلى وجهها الجميل ..

لا يدري عبد الكريم برغال متى أحب فوزية أبو هنية .. كل

ما يذكره أنه أحبها منذ أن أصبحت له ذاكرة وعى بها حب فوزية أبو هنية أو ربما ولد به كحبه لوطنه وأمه .. كان أبناء الحي يدعونها بفوزية برغال ويدعونه بعبد الكريم أبو هنية .. اختلطا معا منذ أن تجاذبت روحهما كأنهما انصهرا في بوتقة واحدة فصارا كيانا واحدا يري فيها شبابه فهي مرآته التي تعكس صورته .. ما أجملها من صورة .. لم يشعر أنها جميلة إلى هذه الدرجة مثلما شعر بها الآن تذكره بالأرض البكر التي لم تمتد إليها يد بعد .

ما الذي حدث بعد ذلك ؟ خائنه ذاكرته مرة أخرى وتوارت خلف أسوار الألم والجراح .. فالذاكرة كطفل عنيد ما تلبث أن تظهر حتى تختفي ثانية مضللة صاحبها .

انتفض عبد الكريم فجأة على صراخ شديد تبين منه صوت فوزية . وسمعها تصيح مستغيثة :

- دعوني أيها الأوغاد .. اتركوني وشأني ..

تذكر عبد الكريم كل شيء .. وسط زغاريد الأهل والخلان تهبط يد قوية على كتفه .. يسود هرج ومرج حفل العرس مقوضا سعادتهما منتزعا فرحتهما .. صرخات هنا طلقات هناك صياح النسوة في الحي استطاع أن يميز من بينهن صوت أمه تصرخ بلوعة .. جنود الاحتلال يحملونه هو وعروسه ويدفعون بهما في عربتهم التي انطلقت بهم ..

راحا يسألان عن تهمتهما .. كل شيء قد انتهى .. صاحت فوزية:

- ماذا فعلنا

لا أحد يجيب .. يصرخ عبد الكريم :

- خذوني واتركوها ..

أصمته الجندي الذي يجلس بجانبه بضربة قوية من عقب
بندقيته أفقدته وعيه وكان آخر ما سمعه صرخات فوزية .. وها هو
يفيق ثانية على صرخاتها .. يندفع عبد الكريم نحو الباب يدق بكلتا
يديه وقدميه ورأسه .. يصيح في ثورة وانفعال :

- أيها الملاعين كم أود أن أهرسكم تحت أسناني ..

يفتح الباب يتقدم بعض الجنود يقتادونه إلى غرفة التحقيق ،
التقت عيناه بعيني فوزية .. أثار التعذيب بادية على وجهها النضر
الذي استحال إلى وجه امرأة أنهكتها السنون واستحال فستان
الزفاف إلى أوحال وقطع من النسيج البالية ..

ماذا فعلوا بك يا فوزية ؟ .. هؤلاء المجرمون لن يفهموا حبنا
ولا إيماننا بقضيتنا فلا يرون ما نراه ولا يدركون ما نؤمن به .

اطمئن يا عبد الكريم .. لن ينالوا منا حتى لو مزقوا أجسادنا ،
وفقأوا أعيننا وأصموا آذاننا ، لكنهم سينهارون حتما أمام إرادتنا
الصلبة ..

لم يكونا بحاجة إلى حديث يدور بينهما تنطقه الألسن بل يكفي أن تلتقي عيونهما ليفهم كل منهما ما يدور بخلد الآخر .

اقرب منه أحد الضباط ووكزه في بطنه ، ثم راح ينظر إلى فوزية نظرة ذات مغزى وبلغه عربية ركيكة قال :

- عروسك جميلة .. بإمكانك أن تعودا معا وتستكملا شهر العسل .. كل ما نريده أسماء رفاقك .. أماكن الذخيرة والسلاح هز عبد الكريم رأسه إيلاء بأنه لا يعرف شيئاً ..

نظر له الضابط بوقاحة ثم أشعل سيجارة وراح يقول بتحد :

- كان يجب أن تكون في هذه اللحظة مع فوزية .. فهادمت مصرا على الإنكار ستكون فوزية من نصيبنا نحن وسوف ترى بعينيك ..

يثور عبد الكريم ويندفع نحو الرجل في هياج يحاول أن ينقض على ذلك الوجه القذر يبصق في وجهه .. بينما الضابط يغمز بعينه إلى الجنود الذين يدفعون فوزية بوحشية أياديهم تمتد إليها يمزقون ثيابها .. يتناوبون عليها كذئاب جائعة عثرت على فريسة لاهية .. تصرخ فوزية يصرخ عبد الكريم تتعانق صرخاتهما ..

- اعترفي ..

رعدة قوية تسري في أوصالها تهز كيائها .. هذا هو السيف الذي سلطوه على رقبتها .. الاغتصاب .. لقد اغتصبوا شرف الأمة فيها ..

زلزال يقتلعها من جذورها .. تيارات تهز كيائها .. طائف يطوف
بخلدها .. فبدلاً من أن تكون الآن بين ذراعي زوجها وحبيبها تنهش
الذئب جسدها وينزعون عنها بلا هوادة كل المعاني والقيم الإنسانية
يحاولون تجريدها من إنسانيتها يتمنون إركاعها واستسلامها ييغون
تحويلها لشيء فارغ محطم ..

كم يشعر بالعجز والهوان .. امرأته تغتصب أمام عينيه وهو
مكبل لا يستطيع عمل شيء من أجلها ..

كم تتمنى في تلك اللحظة أن تلوذ بزوجها ليسترها بجسده
المنهك من آثار التعذيب .. تلحفت فوزية بالفضاء سترها .. ففي
لحظات كهذه يصبح السر عورة والعورة سترًا ..

لم تعد الحياة بالنسبة لهما هدفاً وإنما السقوط هو فقدان كل رصيدك
الكفاحي ورصيد من معك ورصيد الأمة بأسرها ..

آه . يصرخ . تصرخ . يصرخان بأعلى صوت .. يخيل إليك من
شدة الصوت أنه آت من قبل الميلاد ، لعله أصوات كل من مرت بهم
تلك الآلام والحن أو أنه صوت الضمير ، فقد يهب لنجدتهما .. لكن
لا مجيب .. تصرخ فوزية تتأوه لكنها تعود لتتاجيه :

- عبد الكريم ..

وكان مناجاتها سند وتثبيت له على الصمود والتحدي .. لقد

نسجت فوزية من شرفها المسلوب وإنسانيتها الضائعة إرادة لا يمكن قهرها ، شعرت في هذه اللحظة أنها لم تعد تشعر بأي آلام بل انتابها شعور جديد لم تألفه من قبل . قوة جديدة راحت تتغلغل بداخلها .. ، كانت الدماء تسيل منها وعلامات التعذيب بادية على جسديهما راح كل منهما يحاول أن يرى الآخر لكنهما لا يستطيعان ، يخرج صوت عبد الكريم بالكاد ليقول :

- لم يغتصبوا إرادتنا .

ابتسمت فوزية في إعياء شديد مدت يدها محاولة الوصول إليه تحاول أن ترفع يدها يحاول أن يزحف بكل جسده من أجل أن يشعرها بأنهما معا رغم كل القيود يحاول الاقتراب منها تتشابك أيديهما يلتصقان يتعانقان يذوب كل منهما في الآخر ليصبحا كيانا واحدا لا يمكن فصلهما إلى الأبد .. صرخت فوزية صرخة مدوية قطعت سكون الليل . صمتت بعدها للأبد صمت الموت ..

تمتد يد غليظة لتغرس مخالبها في جسدها تعبت به تنهشه تحفر فيه يكشر عن أنيابه يغتاز يقلب فيها يصيح :

- أَلن تعترفا .

لكن العروسان كانا قد بدءا ليلة زفافهما رغم أنفه.

سر اللوحة



أغمضت عيني كي أتأمل ذلك العالم غير المرئي المترامي
الأطراف بسواده الحالك .. الخوف الشديد يخطف قلبي .. عيني
المغلقة تصر على أن تجد شيئاً وسط دياجير السواد كضير يبحث
عن قبس من نور وسط العتمة .. دوائر فضية تتراقص أمام عيني
تتخللها خطوط ذهبية اللون .. الأسود يقهر كل شيء ..

هل السواد الذي في حياتنا ينعكس على صفحة ذاكرتنا لتحيلها
ظلاماً .. لم أر ألواناً أخرى تلون أيام حياتي غير هذا اللون القاتم ،
تسلمني الحياة من قدر إلى قدر حتى تحولت أيامي إلى سلسلة من
السواد ..

كلما ازداد خوفي أطبقت بجفني أكثر على عيني كالأم التي
تحتضن صغيرها بكل قوتها خوفاً من أن يرى ما يفزعها .. أجل ..
تذكرت الآن حين كنت طفلة صغيرة تشعر بالخوف من المجهول
حين يتركني الجميع وحدي في المنزل فألجأ إلى هذه الوسيلة التي

ابتكرتها أغمض عيني بشدة وأترك لخيالي العنان .. الدوائر الفضية
تتراقص و تتمايل تتحول إلى دوائر أكبر تتسع شيئا فشيئا .. يداخلها
لون أخضر كلون الحرير السندسي تحفق قلوبنا له ويأخذ ببصرنا ..
للم الظلام ثوبه الفضفاض ورحل لكنه سيعود حتما في المساء ..
فتحت عيني لأجدها تشرق من جديد وتغمر الدنيا بنورها الذهبي
الوهاج ومع ذلك عاودني القلق، أشعر بالضجر من تلك العادة التي
لا أستطيع التخلص من مزاولتها حاولت السيطرة عليها لكن دون
جدوى

أمسكت بجريدة الصباح .. تصفحتها .. وقعت عيني على
معرض للوحات الفنية .. الحق أنها لم تكن مصادفة فيدي تقلب
الصفحات وعيني تجري على سطورها كالعداء الذي يصبو إلى
الفوز لم أترك معرضا إلا وذهبت إليه ..

أنا الآن أمام المعرض رحت أمر على اللوحات مر الكرام
كمن يبحث عن شيء بعينه أخيرا وجدت ضالتي .. تسمرت قدمي
اتسعت حدقتاي غاب عقلي شرد بعيدا في عالم لا أعرفه .. شعور
غريب ينتابني كلما رأيت عينيها الجميلتين لكني لا أدري سر الحزن
الدفين الذي ينبعث منها كم تعذبت في تفسير سر حزنها كأن شيئا
يربطني بها لكن لا أعرف ما هو ..

انتبهت علي صوت يحدثني .. الفنان صاحب المعرض .. لقد

تعود أن يراني في كل معرض وطيلة أيامه وأمام هذه اللوحة دون
سواها .. جاءني صوته :

- هذه اللوحة أيضا .. ترى ماذا وجدت فيها جديدا عن المعرض
الماضي ؟

انتزعت نفسي من تلك الهوة العميقة التي أخذتني وأجبت
بصعوبة :

- تصور كلما تأملتھا واقتربت منها أكثر وأدركت ألغازها أشعر
أني أجهلھا .

ابتسم وهو يرفعها من على الحائط ويقدمها لي :

- تفضلي فلتقبلينيها هدية مني .

حاولت أن أدفع ثمنها لكنه أبى وبشدة .. في البيت احتلت
اللوحة مكانا بين مثيلاتها في غرفة مكتبي التي اكتظت بلوحات
عديدة لكن الأمر الغريب أنها تعبر عن وجه واحد تلك النظرة
الغريبة التي حار فيها كل فناني العالم

ما من أحد يزورني ويدخل غرفة مكتبي إلا ويبدى إعجابه
وحيرته في آن واحد من دأبي على جمع هذه اللوحات . داهمني هذا
الشعور لدرجة أنني تركت كل شيء أهملت عملي .. وحياتي
ودخلت في متاهة لا أستطيع الخروج منها ..

نصحتني إحدى الصديقات أن أذهب إلى طبيب نفسي ومن
الغريب أنني وافقت على الفور .. استقبلني الطبيب بابتسامة جميلة
وسألني بعض المعلومات عن حياتي وعن الشكوى التي جئت من
أجلها لقد أحسست براحة كبيرة وأنا أتحدث إليه كأنه شخص
تربطني به علاقة حميمة وأنا أعلم أن هذا سيسهل مهمته معي سألني
إن كنت قد تزوجت أم لا ؟

أدركت الآن فقط أنني بلغت الثلاثين من عمري ولم أتزوج
قلت له :

- إنني أبحث عن شيء لا أعرفه ولا أفهمه ولا أتذكره ساعدني
أرجوك يا دكتور .

ابتسم لي ابتسامة واثقة وهو يقول :

- أتعرفين أنني وضعت يدي على أول الخيط
تساءلت بدهشة :

كيف أرجوك أخبرني

إن ارتياحك للطبيب المعالج أهم خطوة واعتقد أنها تحققت .

أجبت وكأني لم أحصل على الرد المنتظر .

- حقا يا دكتور كم أتمنى ذلك ..

أصبحت من المتردين على عيادة الطبيب النفسي وفي كل مرة يحاول أن يصل إلى شيء جديد يقربه من اكتشاف سر معاناتي .. راح يسألني :

عندما ترين تلك اللوحة ما الأشياء التي تتوارد على خاطرك ؟
ولماذا تلك العينين بالذات وتلك الابتسامة ؟

رحت أفتش في ثنايا الذاكرة الآفلة ولكن لا رد ولا مجيب ..
اقترح على الطبيب اقتراحاً أن أرسم الوجوه التي تقفز إلي ذاكرتي حينما أري هذه اللوحة وكذلك الكلمات التي تتداعي إلي ذهني فور رؤيتي للوحة دون أدني تفكير

أمسكت بالقلم رحت أرسم على الورق وجها طالما تذكرته منذ سنوات هذا الوجه أشبه بالمونا ليزا أخذت أكمل الرسم وألونه ولا أدري لماذا لونت فستان المرأة باللون الأسود ..

أمسك الطبيب بالرسم وهو يقول :

- حاولي أن تتذكري .. هل تعرفين صاحبة هذا الوجه ؟

- للأسف لا أعرفها لكن شعرت بشيء من الراحة بعد أن

أفضيت إلى الورق ببعض مشاعري التي تؤرقني

أشار علي الطبيب أن أبحث في ألبوم صوري عن صورة تشبه

هذه المرأة

عدت إلى البيت أخرجت ألبوم صوري قلبت فيه مرات عديدة
دون جدوى .. نصحني الطبيب أن أزور أقاربي أو أقرب الناس
إلي .. قادتني قدمي إلى خالتي صفاء هي بالفعل أقرب إنسان إلى
قلبي .. لم أرها منذ سنوات طويلة

شعرت بالارتياح عندما جلست إليها وتحدثت معها واقترحت
عليها أن تريني صوري مع بعض أفراد العائلة التي تحتفظ بها لديها
أخذت أقلب صفحات الألبوم وقلبي يدق بشدة ويدي ترتعشان
فجأة تسمرت قدمي واتسعت حدقتاي ودهشت خالتي وهي تراني
علي هذه الحالة لفرط تدقيقي في الصورة فقالت لي

- ماذا دهاك يا ابنتي ؟

قلت لها وأنا لازلت تحت تأثير المفاجأة

- من هذه المرأة يا خالتي ؟

صاحت خالتي :

- ألا تعرفينها إنها أختي فوزية رحمها الله .. أملك ألا تذكرينها ؟

انفجرت باكية زرفت دموعا لا أعرف من أين أتت ..
احتضنتني خالتي شعرت بدفء العالم كله بين أحضانها شعرت
براحة لم أشعر بها طيلة حياتي نفس الابتسامة العذبة الحنونة لكنها
حزينة نفس النظرة العميقة التي طالما أخذتني من حياتي إلى حياتها ..
أسبح في عالمها الأبدي ..

أخذت الصورة وتركت خالتي وأنا أجري ووجدتني في
عيادة الطبيب وأنا ألث لفراط المسافة التي جريتها دون أن أشعر
كيف وصلت إليه على هذه الحالة حاول تهدئي لازلت أبكي
وأنا أصبح لقد تذكرت كل شيء يا دكتور تذكرت مشاجراتهما
الدائمة وأنا في غرفتي يهيا لهما أي نائمة .. سخطه وسبابه الدائم
لها .. تهديده لها بأن يتركها دون مأوى أو عائل كرهه لكل شيء
حتى أنا فقد كان يتمني أن أكون ولدا لكن لم أحقق رغبته أما
هي فلم تملك إلا أن ترسم على شفيتها تلك الابتسامة العذبة
الحزينة تذكرت يوم أن خرجت ولم تعد فقد خرجت محمولة على
الأعناق وعزلني أبي عن كل الأقارب والمعارف كأنه ينتقم منها
في شخصي أنا .. مسكينة يا أمي ..

انخرطت ثانية في البكاء دست الممرضة حقنة في ذراعي نمت
على أثرها نوما عميقا لم أنم مثله طيلة حياتي استيقظت وأنا أشعر
أنني على ما يرام لكن كأني سرت طريقا طويلا وسمعت الطبيب
وهو يقول :

- حمداً لله علي سلامتكم ..

ووجدتني أقول له :

- أقسي ما على الإنسان أن يبحث عن شيء لا يعرفه لكنه يحسه ..

فالماضي دائما يترك رواسبه بداخلنا دون أن نعقلها لكننا نستدل عليه
بأحاسيسنا .

أسرعت إلى غرفة مكثبي علقت وسط لوحات الموناليزا لوحة
كبيرة لامرأة جميلة ذات نظرة عذبة وابتسامة حزينة صورة لأمي وهي
تضمنني إلى صدرها الذي لم أتذكره لكنني أحسه بمشاعري .. ونبض
داخلي إحساس جديد لم يراودني من قبل .. تمنيت أن أكون أما .



النص بالنص



نصف ونصف .. نصفان .. اقتربا من بعضهما البعض .. تلامسا ..
اتحدا معا .. التحما ليكونا واحدا صحيحا ..

اختلست النظر إلى مجدي زوجي فوجدته مشغولا كعادته بآلته
الحاسبة .. يعمل حسابا لكل شيء ، لم يكن مجدي هو فارس أحلامي
وإنما تزوجنا بطريقة تقليدية ورحنا ننتظر فرصة للسفر وهاهي قد
سنحت لنا ..

انتبهت على صوت مجدي بجانبني :

- فيم تفكرين يا حبيبتي ؟

- في الأيام القادمة ؟

ربت على كتفي مطمئنا وعاد إلى آلته الحاسبة ..

وصلنا إلى مطار جدة وبدأت الطائرة في الهبوط ، توجهنا بعد
ذلك إلى أحد الفنادق لنقضي فيها ليلتنا .. بت ليلتي ساهرة لم أستطع
أن أذق فيها طعما للنوم يتتابني شعور غريب .. ربما بالانقباض أو

الخوف من المجهول . هو أيضا كان قلقلنا يتقلب كثيرا في فراشه ..
أحسست أن هناك أمرا يريد أن يفاتحني فيه ولكنه يبحث عن الطريقة
المناسبة .. أخيرا اعتدل في جلسته .. أشعل غليوننا . اقترب مني وهو
يقول بصوت خفيض محاولا ألا تلتقي عيناه بعيني .

- ماجدة .. هناك أمر أريد أن أحادثك بشأنه ولكن ..

سكت قليلا ليأخذ نفسا من غليونه ويستجمع قدرا أكبر من
شجاعته . أما أنا فلم أرد ، انتظرت حتى يفرغ ما في جعبته .. اقترب
أكثر وراح يقول بصوت أقل انخفاضا :

- أنت تعلمين أنني تركت عملي في مصر وترقياتي ومستقبلي لكي
أتي معك إلى هنا مضحيا بكل شيء ، من أجل الوظيفة التي حصلت
عليها أنت في هذا البلد . لذلك يجب أن يكون هناك تعويض عن
هذه الخسارة ..

بدا كلامه لي أكثر غموضا ، فرحت أحثه على مواصلة
الحديث :

- وماذا ترى ؟

بدأ يكشف عن أنيابه أكثر فأكثر :

- أرى أن نقسم النقود التي ستتقاضينها بيننا .. تعويضا عن
الخسارة التي ستلحق بي نتيجة ترك عملي طوال هذه الفترة .
لم أشعر أنني خسرت شيئا في حياتي كما شعرت بخسارتي في

زوجي وحياتي اليوم .. راح ينتظر بشوق موعد تسلمي راتبي لكي
يقتسمه . وعندما حان مواعده أخذ نصيبه وأودعه أحد البنوك . ومنذ
ذلك اليوم تحولت حياتنا إلى قسمة ، فكل ما بيني وبينه نصفان ..
نصف له يحتفظ به ، ونصف لي يقوم بكل الالتزامات اليومية ..
رحت أبغض القسمة مع أنني مدرسة رياضيات ولو كان بإمكانني
لحذفها من المقرر الدراسي ..

عندما عدت من عملي في أحد الأيام فوجئت به وقد أعد مائدة
فاخرة ووجدته يحيطني بذراعيه ويهمس في أذني :
- كل عام وأنت بخير يا حبيتي .

تذكرت .. اليوم عيد ميلادي .. ولكن كيف تذكره هو .. هذه
هي المفاجأة الحقيقية .. كانت عيناى تنطق بما لا يستطيع قلبي التعبير
عنه .. لقد أحببته اليوم أكثر من أي يوم مضى .. وعدت ألوم نفسي
على تلك الهواجس التي راودتني عندما طلب مني نصف راتبي ..
وشفع له موقفه هذا كل ما بدر منه تجاهي .

كان المنزل ينطق بالفرحة والأضواء منعكسة على جدران الحوائط
ببريقها الآخاذ ناطقة بحب حقيقي ولولا أنني أرى بعيني لظننت أن هذا
منزل آخر غير منزلنا وأنا زوجان غيرنا يتبادلان تلك المشاعر ..

أطفأنا شموع عيد الميلاد .. طبع قبلة على جبيني .. كنت
سعيدة كما لم أسعد طيلة حياتي وهو يناولني هديته التي أحضرها
من أجلي ..

هممت احتضنه .. شعرت برغبة عارمة أن أضمه بشوق كل
السنين الماضية وأن أضع رأسي على صدره ، لولا تلك الورقة التي
ناولني إياها .

«فاتورة حسابات عيد الميلاد»..

كدت أصرخ في وجهه وأنشب مخاليبي في صدره .. تمنيت لو
فقدت وعيي في هذه اللحظة بالذات أو يتوقف الزمن قبل ثوان من
الآن .. لقد ألقى بي من القمة على أرض صلبة فتحطمت عظامي
بلا هوادة ..

كانت أصعب ليلة قضيتها في حياتي ، لم أشعر باتساع الهوة بيننا
كما شعرت بها ونحن قريبان لا يفصل بيننا غير سنتيمترات قليلة
ولكن على الرغم من قصرها فقد كنت أشعر أننا جرمان يمتد بينهما
فضاء شاسع حتى أنني لم أعد أراه ولم يعد يراني .. جسدان باردان
مدان بلا حراك ..

نصفان .. منفصلان .. نصف ونصف .. اقتربا من بعضهما ..
تلامسا .. اتحدا معا التحما ليكونا واحدا صحيحا .. ولكن بقى بينهما
ذلك الفاصل الذي اجتمعا عنده . فمن السهل أن يتجزأ الواحد
الصحيح ، ولكن من الصعب أن تتحد الأجزاء ..

صورة طبق الأصل



هل أكون مبالغاً عندما أقول إن العيد عندنا أفضل منه في أي مكان آخر؟ مثلما نردد دائماً أن شمسنا هي أجمل الشمس وجونا أفضل الأجواء. حتى لو كنت مبالغاً، فهذه هي الحقيقة.

فالعيد هو صوت المذيع يعلن بدايته وغناء أم كلثوم تشدو ليلة العيد وحذاء جديد احتضنه في سريري، وخروج المصلين وهم يرددون

« الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ».

وأطباق الترمس والحلبة والحمص التي أعدتها أمي منذ أيام ودقات على باب البيت من مهنئين، وزيارات الأهل والخالان العم والخال والجد والجددة.

ترسم هذه الصورة في مخيلتي منذ أن كنت طفلة وأنقلها بدوري إلى أطفالي الذين لم يشعروا بالعيد كما شعرت به أنا لوجودهم معي خارج البلاد.

لم أر هذه الصورة في أي بلد زرتها ورحت أرسمها في أذهان

صغاري الذين راحوا يحلمون بعيد يقضونه بين أحضان الوطن ،
وقررت أن أحقق لهم الحلم .

التفنا حول المدياع لنستمع إلى ليلة العيد من أم كلثوم وراح
كل منهم يحتضن حذاءه وعندما فرغ المصلون من صلاة العيد هرعنا
إلى النافذة لنردد معهم « الله أكبر كبيرا » وجلسنا ننتظر .. انتظرنا
كثيرا ولم يدق أحد علينا الباب بكى الأطفال .. أين العيد ؟ أين
الصورة الجميلة التي رسمتها لنا ؟
قلت لهم :

- قد يكونون مشغولين أو متعبين، فلنزورهم نحن .

ذهبنا على عجل إلى البيت الكبير ، بيت أبي وأمي ، الذي نسجت
فيه تلك الصورة الجميلة ، فإذا بأمي وحيدة بعد رحيل أبي تبكيه وتنعي
الأيام التي ولت معه وتشكو من أن أحدا لم يزرها من أخوتي .

عاد الأبناء يسألونني بصوت أوشك علي البكاء :

- أين العيد يا أماه ؟ أين عمي شريف وخالي حسين ؟

قلت لهم :

- إذا لم يأت العيد فلنذهب إليه نحن .

أخذتهم وذهبنا إلى هناك . وجدناهم .. لكننا لم نجد العيد
لديهم . الكل مشغول بمشاكله والعيد أصبح بالنسبة لهم ترفا
ومضيعة للوقت .

عدنا إلى البيت .. تملؤني الحسرة ودموع الأبناء تهتف بي :

- أين هو العيد ؟

شعرت أن الصورة التي ظللت أرسمها في مخيلة أبنائي قد تشوهت مثلما ضاعت معالمها في مخيلتي . لا . لا بد أن أحافظ عليها . ليس في أذهانهم فحسب وإنما في ذهني أنا أيضا . نزلت بسرعة إلى الشارع . اشتريت بعض اللعب والهدايا علقت عليها بطاقات بأسمائهم وتركت العنوان . عندما صعدت إلى المنزل وجدتهم مازالوا يكون :

- أين العيد ؟ نريد العيد ..

دق جرس الباب . تعلق عيونهم بالباب . أسرعوا نحوه . ليطالعهم عامل المحل يحمل الهدايا من عمهم شريف وخالهم حسين . وارتسمت على وجوههم الفرحة وراحوا يصيحون في سعادة :
- لقد جاء العيد .. جاء يا أماء .

كانت هذه هي المرة الأولى التي أكذب فيها ، لكنها كذبة بيضاء رسمت الفرحة على وجوه الأبناء وأبهجت قلوبهم ، حتى أنا صدقتها وظلت صورة العيد كما رسمتها في أذهانهم وقلوبهم «صورة طبق الأصل».



السوار الذهبي



أنيقة .. جميلة .. مازالت تحتفظ بريها ونضارتها بالرغم من أنها تجاوزت الخامسة والأربعين .. من يراها لا يمكن أن يعطيها سنّها الحقيقي .. وكثيرا ما يختلط الأمر على الكثيرين عندما يشاهدونها سائرة مع ابنتها الطالبة الجامعية فيظنون أنها شقيقتها .. هكذا كان انطباع كل من يراها ، وإذا سألتها إحداهن عن سر جمالها النضر تقول :

- يا جماعة ليس في الأمر سر وإنما هو صفاء القلب والصدق مع النفس وراحة البال ، فالوجه لا يعرف الخداع لكنه يظهر بأمانة ما يخبئه القلب ..

تسكت قليلا ، ثم تضيف بعد إطراقة :

- لا تحسبني خالية البال أو بعيدة عن الأحزان ، فأنتن تعلمن

جيدا أني ترملت مبكرة ، ولم أتزوج بعد زوجي المرحوم . رافضة كل من تقدموا لي وتحملت المسؤولية حتى صارا في الجامعة ..

هكذا كانت مديحة ، أو كما كانوا يدعونها مدام «ميمي» امرأة من الطراز الأول .. فهي سيدة أعمال ناجحة حيث تعمل مديرة للعلاقات العامة بإحدى الشركات ، وأم رؤوم تحرق نفسها من أجل ابنيها عصام وهدي ، أول من يستيقظ في البيت وآخر من ينام فيه .. وفوق ذلك سيدة مجتمع ممتازة .. فمنذ اختيارها في مجلس إدارة النادي أدخلت فيه عددا من الأنشطة الهامة لم تكن موجودة من قبل ولم تخطر على بال أي من الأعضاء الآخرين ، فصارت محط أنظار الجميع ..

استيقظت مبكرة كعادتها مع أنه يوم إجازتها .. أدركت أن وقتا طويلا قد مر دون أن تذهب إلى النادي .. ارتدت ملابسها على الفور اختارت زيا يناسب بداية الربيع ، لم تنس أن تتحلى ببعض ما لديها من حلي مع حفاظها على البساطة وعدم التكلف ، وهذا ما كان يزيدها جمالا وحيوية ..

قوبلت مديحة بثورة عارمة اختلط فيها الترحاب بالعتاب لطول غيابها . فراحت تبرر قائلة :

- ما منعني عنكم غير الشديد القوي ..

صاحت أشجان بسرعة :

- أكيد الأولاد ..

ردت مديحة وهي تجلس بينهم :

- معك حق يا أشجان .. امتحانات الأولاد أخذتني من كل

شيء حتى من نفسي ها .. ما أخبار النادي ؟

انطلقت كاميليا مستمرة في ثورتها :

- فاتك نصف عمرك .. في الأسبوع قبل الماضي أجريت مسابقة

لأجل تسريحة شعر ..

ضربت المنضدة بيدها :

- يا خسارة .. ومن الفائزة يا ترى ؟ ..

هزت كاميليا رأسها وراحت تداعب خصلات شعرها بأناملها

وهي تعقب :

- أخجلتمت تواضعنا ..

قبضت مديحة على خصلة من شعرها وقالت مداعبة:

- آه لو كنت موجودة في هذه المسابقة ..

صاحت ثريا:

- أنت دائماً يا مديحة حظك في رجلك .. جهزي نفسك للمسابقة

القادمة ..

قالت في سخرية :

- أرجو ألا تكون مثل المسابقات السابقة .. أجمل حذاء وأجمل دبوس شعر وأجمل حقيبة يد ..

- لا .. هذه المسابقة أثقل وأهم بكثير .. نحن نريد أجمل سوار ..

كانت المتحدثة كاميليا ، ثم أضافت في محاولة لإغظة مديحة :

- أقترح عليك يا حبيبتي أن تنسحي من الآن .. لأنني أعد لكم مفاجأة حقيقية فأجمل سوار عندي في البيت أحضره لي أخي في الشهر الماضي وهو عائد من الهند .. لو رأيتموه سيغمى عليكم ..

هزت مديحة رأسها في تحد :

- وأنا قبلت التحدي .. وأرى ألا نلتقي حتى يحين موعد المسابقة ، لكي لا يبوح أحد بما لديه من سوار ..

- اتفقنا ..

قلنها جميعا في تحد .. وانفض الجمع وكل منهن يفكر في السوار الذي سيذهل العقول والألباب ..

عادت مديحة إلى البيت على عجل ، وهي تشعر بسعادة غامرة .. فقد تذكرت على الفور سوارها الذهبي النادر الذي أهدها إياها زوجها المرحوم .. كان قد اشتراه من مقتنيات أحد القصور القديمة بباريس ، فهو يعد بحق تحفة فنية رائعة ، علاوة على قيمته الأثرية ..

فتحت خوان الملابس .. أخرجت علبة قطيفة حمراء علاها
غبار السنين .. تذكرت آخر مرة ارتدته في حفل تكريم المرحوم
حمدي .. كادت العيون تخرج من محاجرها عليه .. اغرورقت عيناها
بالدموع .. مسحت بيدها دمعتين انحدرتا على خدها .. أطلت إلى
السوار وارتسمت على شفيتها ابتسامة ثقة .. مهما بلغ سوار كاميليا
أو غيرها فلن يصل بأي حال من الأحوال إلى روعة وأبهة هذا
السوار .. أنا الفائزة بلا أدنى شك ..

هكذا حدثت نفسها بصوت مسموع ، ثم أسرع إلى الهاتف ..
التقطت السماعة .. أدارت قرص التليفون وانتظرت لحظة :

- آلو .. عزت .. أنا مديحة .. الله يسلمك يا عزت .. مشاغل
والله .. اسمع يا عزت أريدك أن تأتيني حالا .. أيوة نفس الفيلا ..
سأنتظرك .. لا تتأخر .

وضعت السماعة ، ثم ألقت نظرة متفحصة على السوار ..
أعادته بعد ذلك إلى مكانه الأثير داخل العلبة القטיפيّة .. راحت
تزرع الحجرة جيئة وذهابا في قلق .. أمسكت بالعلبة ثانية وأخرجت
السوار للمرة العاشرة أو العشرين ..

ما أن سمعت جرس الباب حتى طارت إليه وهي تصيح :

- لم تأخرت يا عزت ؟ ..

دخل عزت وهو يحمل حقيبة سوداء فاخرة :

- مسافة السكة يا هانم ..

قادته إلى حجرة الجلوس ، وبعد أن جلس صاحبت وهي تنظر إلى الحقيبة :

- يبدو أن معك أشياء جديدة ..

صاح وهو يفتح الحقيبة :

- تفضلي شاهدي بنفسك ..

جالت بعينها بين أطقم المجوهرات التي تراصت بانتظام داخل الحقيبة ، ثم أغلقت الحقيبة في غير اهتمام وصاحت :

- مش قد كده ..

اعتلت أمارات الدهشة وجه عزت الجواهرجي ، كاد يحتج لولا دخول الخادم تحمل صينية العصير ، تناولت مديحة منها الصينية وصرفتها بإيماءة ثم قالت محدثة عزت :

- عزت .. هل تذكر سوارى الذهبي ؟

- طبعاً يا هانم طبعاً .. التحف النادرة لا تنسى بسهولة.

أريدك يا عزت أن تنظفه وتعيد صقله ، فإذا كان في حاجة إلى لمساتك الفنية فلا تبخل عليه ..

- أنا في خدمتك يا هانم ..

باتت مديحة ليلتها لم يغمض لها جفن .. وراحت تتخيل السوار وهو يبرق في عيون الحاضرين ، لم تكن عابئة بالكأس ولا بالفوز في المسابقة بقدر ما كانت تحلم بلحظة إعجاب تراها على وجوه الموجودين ..

انتفضت في فراشها وأسرعت إلى التليفون :

- آلو .. عزت .. نسيت أن أخبرك أن السوار به فص سقط ، أرجو تثبيت آخر غيره ..

طمأنها عزت إلى أنه اكتشف سقوط الفص وقد قام بتثبيت فص جديد مكانه ، بل إنه سوف يسلمها إياه كأنه جديد ، ومع ذلك لم تهدأ مديحة . كل حين وآخر تفزع إلى الهاتف :

- آلو عزت .. أرجو أن تركب للسوار سلسلة صغيرة ومحبس أمان ..

- عزت .. لا تنس الياقوتة الحمراء التي حدثتك عنها المرة السابقة .. كما قلت لك تتوسط السوار وتحيط بها فصوص من الألماظ الحر .. الحر يا عزت .

- عزت نسيت أن أخبرك بالأ تطلع إنسانا بأمر السوار .. دعه سرا بيننا ..

وبالرغم من التكتّم الشديد الذي فرضته مديحة ، فلم تستطع أن تمنع تسرب الخبر إلى المتنافسات في النادي .. فقد عرف الجميع أن مديحة تقوم بإعداد سوار للتقدم به إلى المسابقة .. ولم يكن لهن حديث إلا عن سوار مديحة الذي سيذهل العقول والألباب ..

وضعت مديحة سماعه التليفون بعد مكالمة سريعة مع كاميليا التي طلبتها لتخبرها أن موعد المسابقة غدا ، وهي في الحقيقة كانت تبغي معرفة معلومات عن سوارها الذهبي الذي ستظهر به غدا في المسابقة ، لم تعطها مديحة أية معلومات وأخبرتها أنها تعلم مسبقا موعد المسابقة وليست في حاجة إلى تذكرة وراحت تتأمل السوار أمامها بإعجاب شديد وهي تضحك .. انتبهت مديحة على دخول ابنها عصام الحجرة مطرقا .. أغلقت علبة السوار وصاحت منزعة:

- عصام .. ماذا بك ؟

- لا شيء يا ماما ..

قال عصام هذا وهو مطرق في الأرض زائغ العينين ، تتبعه أخته هدى لا تقل عنه انزعاجا :

- ماذا بكما .. تكلما ..

تكلمت هدى وهي تسترق النظر بين أمها وأخيها :

- الحقيقة يا ماما .. عصام يفكر في الهجرة إلى كندا ..

صاحت الأم معترضة :

- لا .. أنا لم أضح بشبابي وعمرى ، وأعلمكم أفضل تعليم حتى

تخرجوا من كلية الطب وفي النهاية تتركاني وحيدة ..

تكلم عصام بصوت يأس :

- كلية الطب ؟ .. ليتني تعلمت صنعة أفضل من انتظار خطاب

القوى العاملة حتى ينتهي بي المقام في وحدة صحية مدرسية براتب

ضئيل لا يسد رمقا ..

قالت الأم :

- أأست مثل زملائك الذين تخرجوا في نفس الكلية ؟

- زملائي .. منهم من تعين معيدا ، ومنهم من سافر إلى الخارج

ليكمل دراسته هناك ، ومنهم من فتح عيادة ..

- إذن فلتفتح عيادة .

رد عصام :

- العيادة تحتاج إلى مصروفات كثيرة .. وأنا أعلم جيدا الظروف

الصعبة التي نمر بها بعد وفاة بابا .. بالرغم من محاولتك كي لا

نشعر بها ..

أضافت هدي مؤيدة :

- كفاك تضحية من أجلنا يا ماما .. دعينا نعتمد على أنفسنا ..
أنا تسلمت اليوم خطاب القوى العاملة سأعمل مشرفة صحية في
إحدى الحضانات .. أما عصام فدعيه يسافر ، فقد يكون حظه في
الخارج أفضل من حظه هنا ..

صاحت الأم في اعتراض وقد لمعت في عينيها دمعتان :

- لا يمكن أن ينجح عصام هناك إلا بعد أن ينجح هنا .. يجب
أن يفتح عصام عيادته .. وأنت أيضا يا هدى سوف تكون لك عيادة
لعلاج الأطفال بالإضافة إلى عملك في الحضانة ..

صاحا معا في دهشة :

- عيادتان دفعة واحدة .. نحن في حاجة إلى ثروة ..

ضمتها مديحة إلى صدرها وهي تقول في حنان :

- لا تحملاهما .. إنني أرى أمامي الآن طبيين ناجحين ، أستطيع
أن أفخر بهما أمام الجميع .. هذا هو اليوم الذي أنتظره من زمن ، وها
قد تحقق .

قبلاها بحب وهما يدعوان لها ، راحت مديحة ترمقها حتى
انصرفا ، ثم مسحت دمعتي انحدرتا على خديها رغما عنها ..
امتدت يدها إلى الهاتف .. أدارت قرصه .. انتظرت لحظات ، ثم
صاحت:

- عزت .. تعال حالا .. أريدك في أمر هام ..

مساء اليوم التالي .. احتشد النادي بالمدعوات وقد تالأت أيديهن وصدورهن بالأساور والمجوهرات .. وقد أعلن عن بدء المسابقة .. وراحت الواحدة تلو الأخرى تعرض سوارها ، بينما كن جميعا يترقبن في شغف وشوق صعود مديحة على المنصة لتعرض سوارها ، لكن مديحة لم تصعد .. ظلت جالسة في القاعة وسط المدعوات ، عن يمينها ويسارها جلس ابنها عصام وهدى .. لم يبق سواها .. حتى صاحت كاميليا :

- مديحة .. أين سوارك ؟

تحسست مديحة بيد مرتعشة موضع سوارها ، وقد ارتسمت علي وجهها ابتسامة واثقة ، ثم أحاطت بذراعيها ابنها وابنتها وقالت :

- هذان هما قرطي وسواري ..

علا التصفيق وعانقها الجميع .. بعد قليل أعلنت نتيجة المسابقة وكانت مديحة هي الفائزة بأجمل سوار .

❧❧

العوض



تدور وتدور ، تحلق في الفضاء العريض ، تغرد بصوت عذب ،
ترفرف بأجنحتها الرقيقة ، تصنع لنفسها عالماً خاصاً .. نسمة
ندية تتهادى في هيام ورقة من شجرة إلى شجرة تداعب الأوراق
والأغصان كراقصة باليه محترفة إذا لامست جمادات تدب فيه بربق
الحياة وإذا صافحت نباتاً لا يملك إلا أن يرقص معها ويغرد مثلها .

هكذا قدر لها أن تأتي إلى الوجود مختلفة عن كل أطفال الدنيا ،
لم يرحب بها أحد ، الجميع كانوا ينتظرون ولداً وعندما جاءت هي
انفجرت الأم باكية وهي تزف إلى زوجها الخبر المشؤم :

- بنت .

- اللي يجيبه ربنا كويس .

- كنت أتمنى أن أنجب لك ولداً عوضاً عن الذي راح .

- كل شيء قسمة ونصيب .

وتركزت عيناه على صورة ابنه الفقيد المعلقة فوق رأس الأم كأنه يقول له كان عندي أمل أن تعود . وسمع صوتها يقول بصوت أشبه بالنحيب:

- لم يعد أكثر من مجرد صورة معلقة على الحائط .

انتبهت على صوت العوض أو بالأحرى تلك الوليدة الصغيرة التي جاءت في غفلة منهما ، ماذا أرضعك الآن الهم والحزن والنكد؟ لم تهتم الأم بإحضار ملابس للبنات فقد كانت كل الملابس التي أحضرتها ولادي . كأنها كانت واثقة من أنها ستنجب ولدا . ووجدت الأنثى الصغيرة نفسها داخل ملابس الأولاد . تذكرت الأم بعد أيام أنها لم تختار اسما لمولودتها ، ربما لأن قائمة الأسماء التي اختارتها لذكور ، ومن بينها الاسم القديم الذي كان يحمله الاسم الفقيد . فأطلقت على ابنتها أي اسم جاء على مخيلتها ، وكما ولدت منزوية عاشت منزوية في ركن قصي من البيت لا يلتفت إليها أحد ولا يشعر بوجودها كائن من كان .

لم يشعر أحد بجماها الملائكي ولا رقتها ولا عذوبتها ، فلم يكن أحد يهتم بها ، إذا غابت لا تجد من يبحث عنها ، وعندما تحين ساعة النوم كانت تنزوي عن الأنظار في أي ركن يسمح باستقبال جسدها الصغير فتلوذ به حتى الصباح .

ذات يوم دخلت على أمها وهي في حالة من الذعر لاحظت أمها عليها ذلك فتعجبت :

- ماذا بك ؟

لم تكن الأم تدرك أن ابنتها تركت مرحلة الطفولة وأدركت فترة المراهقة ، وأشرفت على طور الأنوثة ، وأن هناك تغيرات جديدة طرأت على ابنتها ، ضمتها الأم إلى صدرها ، مسحت العرق المتصبب على جبهتها ، راحت تتطلع إلى وجهها ، لم تدرك أن ابنتها جميلة سوى اليوم . طمأنتها الأم أنها كبرت وأصبحت فتاة صغيرة .

لكن النزيف لم يتوقف ، لم تجد الأم بدا من الذهاب إلى الطبيب . طمأنها الطبيب هو الآخر بابتسامته المعهودة :

- أأنت امرأة وتفهمين ما حدث لابنتك هذا أمر طبيعي يتكرر كل شهر .

مر شهر وما زال النزف مستمرا وتبدل الجمال إلى شحوب واستحال الجسد الأنثوي النابت إلى شبح ضامر ممدد بلا حراك لا تسمع في الغرفة سوى أنفاس لاهثة تتلاحق . تذهب الأم إلى طبيب آخر ، ما أن يفحص الفتاة حتى تعلوه نظرة قلق :

- لماذا تأخرتم حتى الآن ؟

بدأ يصدر أوامره :

جهزوا المحاليل ، علقوا أكياس الدم ، أعدوا العلاج الكيميائي .
تضرب الأم كفا بكف . هل كانت تحلم طول هذه المدة . ما هذا
الصوت الذي يتردد في صدرها ، نفس الحشركة التي سمعتها من
صغيرها وهو يموت منذ اثني عشر عاما . تجري هنا وهناك تستغيث
بالطبيب والمرضات حتى بعمال المستشفى ، كان الكل يمر يلقي
نظرة يائسة وينصرف .

تنظر الصغيرة إلى عيني أمها وترسم بصعوبة ابتسامة بريئة
وتهمس :

- أمي قبليني ..

تضمها الأم إليها وتغرقها بالقبلات . تشعر أن شيئاً قويا يخرج
منها . الجسد الدافئ أصبح باردا كالثلج ، العينان النجلاوان غارتا
وسكتتا في لحاظهما ، الابتسامة العذبة ذابت فوق شفيتين ذابلتين .
سكتت الأنفاس إلى الأبد .

تنظر الأم إلى ابنتها وتصرخ :

- ساحيني يا ابنتي . عليه العوض ومنه العوض .



البصقة



وجه ذابل نحيل تعلوه صفرة الموت .. عينان غائرتان .. تحيطهما
هالتان سوداوان .. جسد ممد بلا حراك .. قدمان متيبستان .. ذراعان
ألقيتا إلي جواره وقد ازرقتا لكثرة الحقن التي نشبت أنيابها في ذلك
الجسد النحيل ..

من الصعوبة أن يتبين أحد إذا ما كان على قيد الحياة ، أم أنه أفل
مع أفول شمس ذلك اليوم ، لولا صدره الذي يعلو ويهبط في تودة
وبطاء شديدين مصحوبا بصوت مكتوم كأنه آت من أعماق بئر قديم
نضب ماؤه منذ قرون عديدة ..

نادي على زوجته وكان أنفاسه أبت ألا تتوقف إلا إذا حضرت
ورآها ولو للمرة الأخيرة ..

جلست إلي جواره وهي تنظر إليه بعينين دامعتين ولسان يلهج
بالدعاء وقلب يتوسل ألا يتركها ويمضي إلي حال سبيله .. فمنذ أن

فتحت عينيها علي الدنيا وهي تراه أمامها . ابنها المدلل وحبيبها الوفي وزوجها الذي يملأ حياتها دفئا .. كانت تعرفه أكثر من أهلها جميعا . فهو الأب والأم والصديق والحبيب ، بل هو الحياة ذاتها ..

حانت منه التفاته غير إرادية إليها فرأي عينيها الدامعتين ، سحب يده بصعوبة بالغة .. حاول أن يمسح دموعها المنهارة علي خديها فلم يستطع .. سحب يدها .. لثمها بشفتين ذابلتين باردتين ازرقتا حتي بللت دموعه يديها .. احتضنته بشوق كل السنوات الماضية ولهفتها عليه من أن تفقده إلى الأبد ..

راح وجهه يتصبب عرقا .. ازدادت شفتاه زرقة .. أسرع بتجفيف العرق ، ذكرها وجهه بذلك اليوم الذي سقط مغشيا عليه علي أثر مكالمة تليفونية من مجهول .. يخوض فيها في عرض ابنته ، ويهدده بفضحها ، لم يحتمل الرجل ومنذ ذلك اليوم لم تنتصب له قامة .. لم تره طيلة حياتها يعاني من شيء كما رأته في ذلك اليوم . هذا الرجل القوي المارد الرقيق الحاني بإشارة من إصبعه تقوم الدنيا ولا تقعد .. تنجز أعمال ، وتذوب خلافات ، وتصفو قلوب كان قادرا علي الخروج من كل المآزق إلا هذا المآزق لم يستطع الخروج منه .

لم يخر لأحد أبدا إلا الله .. خر مغشيا عليه باكيا منتحبا .. لم تكن تظن أن يقع بهذه البساطة وتلك السرعة .. كانت دائئا علي يقين من أنه أقوى من كل شيء حتي من المرض نفسه ، ولكن كان الموت اقوي منه وأسرع سبيلا ..

نظر إليها بطرف عينيه نظرة انخلع لها قلبها .. أهى نظرة
استعطاف لحاله ، أم نظرة استماتة تندر بدنو الأجل ؟ أم أن الموت
يطل من العالم الآخر من خلال تلك العينين المحتضرتين ؟ .. لم
تستطع أن تحول عينيها عن ذلك الوجه الممتنع .. تزداد امتعاضات
وجهه .. الله وحده يعلم بما يعتصر به قلبه المريض ..

- آه لو تنطق يا حبيبي لو تبوح بمكنونات نفسك ..

يا لقسوة القلوب عندما تتحد في شرها لتقتل بريئا لترضي
نوازع شرها ..

ظلت عيناها معلقتان علي وجهه ، ويداها في يده تستشعر نبضه
الضعيف لتؤكد أنه مازال يشعر بها ويراه .. أنه لا يزال علي قيد
الحياة ..

دق جرس الباب .. اندفعت ابنته إلى غرفته والدموع تنساب
منهمرة علي خديها .. لم يشعر بوجودها .. ازداد نشيج بكائها ..
رفعت وجهها إلي السماء تدعو الله لم تدع الله في أي وقت مضى بهذا
الخشوع وهذا الصدق كما دعتة الآن ليشعر بوجودها .. فتح عينيه ..
رآها .. أخيرا نطق اسمها :

- سلوى ابنتي ..

احتضنت كفه الضعيفة كفها بصعوبة وبقوة حبه وتعلقه بها ..

وبقوة أمل تذروه الرياح في أن يبقى معها .. حاول أن يضمها ..
تحسست قدميه .. باردتان كالثلج .. جبهته تتفصد عرقا ..
حشرة صدره تزداد .. وكأن شيئاً مجهولاً يريد الخروج من جوفه
فلا يستطيع .. نفس حائر .. يروح ويحيى يحاول أن يخرج من عنق
الزجاجة .. رحماك يا إلهي ..

طلبت إليه جرعة ماء .. أسندت ظهره .. حاولت أن تسقيه
ولكنه سعل سعلة قوية وبصق .. تقياً كل ما في جوفه الماء والهواء
والدماء أيضاً .. تقياً بحراً من الدماء .. لم يعد بداخله شيء ..
انطفأ بريق عينيه .. زالت امتعاضات وجهه وزرقته .. ذهبت
تلك الهالات السوداء أسفل عينيه .. برد القلب المحترق سكنت
الأنفاس اللاهثة ..

سما على كل النفوس الوضيعة فصار عالياً . أعلي من كل البشر ..
وتركنا نحن في التراب ..



القوقعة



التفت حول نفسها ، دفنت رأسها بين ذراعيها ، تركت السنون بصماتها علي وجهها ورقبتها وكفيها المعروقتين ، أما عيناها فربما اضيقتا بفعل السنين وبفعل النظارة السميكة التي تثبتها عليها . ويبدو أنها ترتديها منذ سنوات طوال للهالات التي تركتها علي أرنبة أنفها وبين عينيها ..

حذرنى الجميع من الاقتراب منها وإلا ستنفجر كأنها قنبلة موقوتة . أخذت أسترق النظر إليها عن بعد .. أخيرا رفعت رأسها بعد أن ظلت منكفئة أكثر من ساعة علي مكتبها لدرجة أني ظننتها والمكتب سواء ، أو أن المكتب قد تحول إلى محارة تكورت داخله .

ذات يوم جاءت متأنقة على غير عادتها .. رحنا ننظر إليها ، ثم إلى بعضنا بعضا في دهشة واستغراب ، إلا أنني لمحت في عينيها نظرة تجمعت فيها كل لحظات الأسى والحزن في حياتها الماضية والمقبلة معا . مما زاد من دهشتنا .

عندما دقت الساعة الثانية قامت على الفور تجمع حاجياتها

وتنصرف .. لم تتكلم ، لم تبح بشيء .. كتومة كعادتها .. تتحرك بحساب ، تتنفس بحساب خيل إلي أنها تعرف عدد اللقيمات التي تزدردھا ، وعدد الأنفاس التي تتنفسھا .. هذه هي عادتها ولم نحاول أن نقترح حياتھا ونعرف ما يدور فيها .

في صباح اليوم التالي دخلت مكنتي وكالعادة كانت أول من حضر ووقع في كشف الحضور . وجدت قطعتي شيكولاته علي مكنتي عندما سألتھا أجابت في تحفظ :

- خطوبة ابني حسام ..

- ربنا يتم بخير

رحنا جميعا نهنتھا ، ولا أدري لم شعرت أنها لم تكن سعيدة .. كنت اختلس إليها النظرات محاولة سبر أغوار بحرھا الخضم ، وكلما حاولت الغوص لا أجد إلا ظلمة القاع فأظل على الشاطئ .

عرفت من زميلاتي أتما ليست المرة الأولى التي يرتبط فيها حسام ابنھا وفي كل مرة تبوء الزيجة بالفشل .

لدهشتنا وجدناھا بعد أيام قلائل تدخل علينا بوجه مشرق وقد بدت أصغر من سنھا ، وعلمنا بعد ذلك أن هذه الزيجة أيضا قد باءت بالفشل .

اقتربت منها وكلي عزم وتصميم على تحطيم هذا الحصن الحصين الذي تحتفي وراءه هذه المرأة ، اكتشفت أنني لم أكن

وحدي التي أسترق النظر إليها فقد كانت تنظر لي هي الأخرى.. طلبت مني أن تأتي لزيارتنا بالمنزل كانت مفاجأة لي أن تطلبني لابنها حسام..

لا تقل عني أي مجنونة لكي أقبل زواجا بهذه الطريقة العجيبة ، فأنا لم أر حساما هذا وما رأيته من أمه لا يبشر بخير ، فكان شغفي لاقتحام حياة هذه المرأة وحصنها العتيد وراء قبولي الزواج من حسام.. وتزوجنا .. لكنني بعد وقت قصير اكتشفت أنني داخل القوقعة، بل ومحاطة بقواقع أخرى أشد غموضا من قوقعتي .. كانت حياتي معها أصعب من أن أقودها وحدي .. لم يكن لي فيها حق القيادة .. بل الانقياد .. لم يكن زوجي لي .. استطعت أن أفهم ذلك منذ أول ليلة .. فليلة عرسي قضيتها في المستشفى على أثر نوبة قلبية حادة أصابتها وظللنا بجوارها .. عرفت أنها فقدت زوجها في سن مبكرة فكان حسام بالنسبة لها الابن والحبيب والزوج ومن الصعب بل من المستحيل أن تتركه لامرأة أخرى..

حاولت أن أكون لها الابنة البارة لكنها كانت تشعر دائما أنني خصمتها اللدودة . اشتد عليها المرض منذ زواجنا . الأزمات تعصف بها .. حالتها الصحية تزداد سوءا .. وشعرت بالاختناق لم أعد أحتمل أكثر من ذلك .. لا يوجد سوى حل واحد .. وتركت البيت في هدوء ..

لم تعترض هي ولم تحاول أن تصلح بيننا .. بل علمت أنها عوفيت
واستردت صحتها بعد أن استعادت ابنها الوحيد من جديد .

تعسا لهذا الابن كم كان يتمنى أن يتخلص من هذا القيد كم
حلم بالحرية ، ويألفها من حرية ، فمعناها الموت لأمه . ومن يتمنى
لأمه الموت من أجل حبها له . يشعر بوخز ضميره . فيعود منكسرا .
وفي الليلة التي راوده فيها هذا التفكير البغيض لم ينم .. أصر أن
ينتظر موعد الدواء دخل غرفتها .. حاول مداعبتها رفع صوته :

أمي .. أما زلت نائمة ؟

لم يأتها الجواب .. رفع عنها الغطاء وجدها متفوقة في فراشها
وقد أحكمت الغطاء الصدفي عليها دون حراك . بكأها كثيرا ..
مرت أيام وشهور .. حاول أن يفعل كل ما تمناه من قبل . يمكنه
الآن أن يبدأ من جديد .. فالفرصة سانحة الآن لكنه لم يستطع ..
قرر أن يقوم في اليوم التالي ويذهب إلى زوجته ويردها مرة أخرى إلى
عصمته .. كان سعيدا بهذا القرار .

دخل إلى صومعتها ، اندس في فراشها ، تقوقع في مكانها ،
أحكم عليه الغطاء الصدفي ، ولم يبد أي حراك ..



الخالدة ريحانة



يا لصوتها الشجي .. تشعر وأنت تستمع إليه كأنه خارج من
أديم الأرض ، تلمس في رنته رنين صخور الصحراء وهي تصطك
ببعضها ، كأن الجبال صبغتها بصبغتها الداكنة فصارت جزءا منه ..
لكني استطعت أن أستشعر هذه الترنيمات الحزينة الشجية ، كأن
كلماتها التي لم أفهم معناها هي عزف للحن حزين على تلك الآلة
التي تقطع نياط القلوب .. الناي .. امتزج نشيجه مع صوتها الحزين
ليعزفا معا لحنا واحدا ..

هذه هي (الخالدة ريحانة) بوجهها الأسمر سمار الجبال الشاهقة
التي تحيط بنا وقد لفحتها أشعة الشمس ، وغريب أن تلفح الشمس
وجها لا يرى كلاهما الآخر إلا عابرا .. ربما تكون الشمس قد
تسللت خفية إلى حجرتها لتنصت إلى صوتها الشجي ، أو لتشم
زهور الريحان ..

أما الخالة ريحانة .. وهذا ليس اسمها الحقيقي ، إنما أطلقناه عليها لزهور الريحان التي تخفيها خلف أذنيها .. تميزت بهذه الرائحة التي تعبق المكان فتملاً نفوسنا انشراحا وإقبالا على العمل ، عرفناها بها منذ أن تدخل من باب المستشفى التي أعمل بها في تلك المنطقة النائبة ، فما أن تأتي في الصباح لتنظيف مكاتبنا حتى يفوح عطر الريحان ليتضوع بعرفه المكان ..

كيف حالك يا عواطف ؟

هكذا كانت تناديني « الخالة ريحانة » بلا ألقاب ، بالرغم من أن جميع العاملين بالمستشفى من أصغر عاملة إلى المديرية لا ينادوني بغير « الدكتورة » .. إلا الخالة ريحانة ، واعتدت منها ذلك .. فزهور الريحان تشفع لها ..

صارت الخالة ريحانة جزءا منا ، بل صرنا جزءا منها .. حتى شكواها المتكررة التي تبثها إلينا من خلال ترانيمها وأغانيها الحزينة .. كنا نلتف حولها ونستمع إليها في شغف وإعجاب .. فتارة الصداق اللعين الذي لا يفارقها .. وأخرى بذوراتها « أبناءها » الذين تزوجوا وفارقوها .. وثالثة تنعي الزمن الذي ولى ومر من أمامها دون أن تدري به .. تاركا آثاره القاسية على شعرها الذي وخطه الشيب ولم تفلح الحناء في إعادته كما كان .. وجهها الذي أصابه التجاعيد أسنانها التي سقطت قبل الألوان كأوراق الخريف الذابلة ، وتحايلت

عليها بأسنان ذهبية كانت تشاركها الابتسام إذا ابتسمت ، فتلقي بأشعة ذهبية على وجهها النحيل فتحيل وجهها الشاحب إلى لون النهار تحت أشعة الشمس ..

- ماذا بك يا خالة ريحانة ؟

سألتها ذات يوم عندما وجدتها تجلس في حجرتها الصغيرة بالمستشفى مكفهرة على غير عادتها ، واضعة إحدى يديها على خدها والأخرى تمسك بزهور الريحان كأنها تبثها شكواها .. هزت رأسها في أسى وقالت بصوت حزين

- أصعب شيء على الإنسان يا ابنتي عندما يجد المياه تهرب من بين يديه قطرة قطرة دون أن يكون له أي إرادة للاحتفاظ ولو بقطرة ..

- كل إنسان لابد وأن يأخذ نصيبه غير منقوص يا خالة .

- أجل .. ولكن ماذا تقولين في حصان عجوز يريدون أن يضربوه بالرصاص لا شيء إلا أنه شاخ وكبر وأصابه العجز ..

تسكت قليلا لتقول بعين دامعة :

- عندما تشعر الأفيال بدنو أجلها فإنها تذهب إلى المقبرة بأقدامها ..

- أول مرة أراك تتحدثين بهذه الطريقة .. لا تكوني متشائمة يا خالة .. هيا فضفضي .. قولي ما الذي يحزنك ..

لا داع لأن أنبش الجراح فتزداد اتساعا .. دعيها مغلقة على أصحابها ..

رحت أواسيها :

نحن الذين بأيدينا أن نذيب الأحزان ونخفف الجراح عن المرضى .. ألا نستطيع أن نعالج أنفسنا ..

- كيف يا ابنتي ومرضنا فينا .. إنه الزمن ..

- إذن فلنصادق الزمن بدلا من أن نحاربه .. نتصالح معه ونصالحه خيرا من أن نسبح ضده .. فليس بأيدينا العودة إلى الوراء .. كذلك لا نستطيع أن نوقف عجلة الزمن ..

وهل أحدا يا عواطف يستطيع أن يوقف سريان الزمن .. إنه يجري مسرعا كالقطار الجامح ونحن وراءه لا نستطيع أن نوقف سريانه ولا يمكننا اللحاق به ..

ضممتها إلى وأنا أقول :

- خالة ريحانة .. لقد تعودنا على ابتسامتك الجميلة وصوتك الشجي .. أرجوك لا تحرمينا منها ..

هزت رأسها وعادت تترنم بأغنياتها الحزينة ونحن نردد وراءها ..

شيء مزعج للغاية أن يأتي يوم بدون الخالة ريحانة ، فقد تغيبت

في اليوم التالي وأدركنا جميعاً أن السبب حالة الاكتئاب التي انتابتها بالأمس .. لكن أن يمر أسبوع كامل دون أن تحضر أو حتى تبلغنا. فبالأكيد في الأمر شيء.

لا أدري ما الذي دفعني إلى الذهاب إليها ، لم أجد تفسيراً لهذا الهاجس الذي راح يلح على طول الطريق للبحث عن بيتها .. لعلها زهور الريحان التي كنت أشمها طول الطريق إلى بيتها ، وكأن الدرب يقودني إليها ..

لم أتعب في البحث عن بيت الخالة ريحانة ، فقد اكتشفت أنها أكثر شهرة من الطريق ومن الجبال ومن زهور الريحان .. وكنت طول الوقت أبعد عن مخيلتي مشهداً أخشى أن أراه ، وحمدت الله أن خيب ظنوني إذ فوجئت بالأنوار تملأ المكان كأنه عرس ، وأصوات غناء من الداخل تبينت منه صوت الخالة ريحانة تصيح في سعادة بصوتها المميز وبحتها الرخيمة .. كانت تعطي أوامرها لبعض الفتيات :

- هيا أسرعن .. ركن الستائر وافرشن السجاد .. فقد أوشكا على الحضور ..

عندما التفتت ورأتني لم تصدق نفسها ضمتني إليها في ود فشعرت كأنني غرقت في بحر من الريحان ، ثم نزلت بي إلى الطابق الأرضي وفتحت إحدى الغرف وتقدمتني وهي تقول بفرح :

تفضلي يا عواطف .. هذه غرفتي ..

دخلت خلفها وأنا أتأمل حجرة نومها في دهشة وإعجاب معا
ورحت أقول:

- لولم تقولي لي إنها حجرتك لقلت إنها حجرة عروس في شهر
العسل ..

ضحكت في مرح وقالت :

- هي فعلا حجرة عروس . فلم يمسها أحد حتى الآن ..

ثم أخرجت من دولابها علبة مجوهرات فتحتها أمام عيني
وقالت :

- اشتراها لي زوجي بالأمس ..

- رائعة ..

ثم أخذتني سريعا إلى حجرة بالطابق العلوي . ونحن نصعد
الدرج إليها سألتها :

- إنني أتعجب لك يا خالة ريحانة .. فامرأة مثلك رزقها الله بزواج
له مثل هذا الذوق العالي وهذه الرقة الشديدة . وتمر باكتئاب ..

كنا قد وصلنا إلى الحجرة العلوية وفتحت لي الباب لأشاهد
حجرة نوم تشبه تلك التي في الطابق السفلي تماما وسألتني :

- ما رأيك يا عواطف ؟ ..

- إنها مثل السفلية تماما ..

ضحكت ثانية وهي تعقب :

- أنا التي اخترت الاثنتين .. فكل شيء في البيت من ترتيبي أنا ومن صنعي أنا هذا المفروش الذي على السرير من عمل يدي ، فهو يحب اللون الوردي .. وأنا الذي رتبت له حاجياته في الدولاب بهذا الشكل .. حتى العروس أنا التي اخترتها .. شابة حسناء مهذبة وبنّت ناس ..

- مبروك يا خالة ريحانة .. ربنا يتمم بخير

رحت أجول ببصري في الغرفة لأجد زهور الريحان تملأ المكان .
ولاحظت أنني أنظر إلى زهور الريحان فضحكت قائلة :

- إنه يهوى الريحان أيضا ..

شاركتها الضحك وأنا أقول :

- من الطبيعي أن يهوى الريحان .. أليس ابنك ؟

انفجرت ضاحكة وهي تصيح :

- بل زوجي ..

رحت أحلق فيها غير مصدقة ، بينما راحت تقول :

سواء أردت أو لم أرد سيتزوج ، فليتزوج إذن بإرادتي أنا وبرغبتني
أنا ، واشترطت عليه أن يحضر لي مثلما سيحضر لها وأنا الراححة في
النهاية ...

وراحت ترقص وتغني وتزغرد بانفعال .. ثم مدت لي صينية
الشربات :

تفضلي شربات الفرح ..

نظرت في عينيها فلمحت دموعا انسابت رغما عنها وسقطت على
صينية الشربات ...



عربة القمامة



أخذ نفسا عميقا من سيجارته نفخها بقوة في الهواء لتحيطه غلالة من الدخان.. تذكر شيئا نسي أن يقوله لزوجته الغيور أثناء مشاجرة اشتعلت بينهما وهذا الأمر عادي بالنسبة لهما، فالمشاجرات بينهما لا تخمد أبدا.

اتهمته هي بالخيانة وعدم تحمل المسؤولية.. شكك هو في تصرفاتها وفي المكالمات الهاتفية التي تأتي إليها حتى الخطابات التي تصل إليها.

فتح الباب بينما كانت تجلس في غرفة النوم مطرقة ساهمة وراح يقول:

- هناك شيء آخر يا ست هانم. أنا لست مسئولا عن تقديم تقرير يومي عن تصرفاتي.. هل سألتك يوما أين تذهبين؟.. هل تلصقت على مكالماتك بين الحين والآخر؟.. هل فتحت درجك الخاص وفتشت بين أوراقك؟.. هل سألتك يوما عن مصدر الخطابات التي تصلك؟

باغتها بكل هذه الأسئلة التي لم تكن تتوقعها، نظرت له في حدة وأطرقت دون أن ترد.. صفع باب المكتب وراءه بشدة.. ظهر عليها الانزعاج لجملة الأخيرة وتساءلت فيما بينها وبين نفسها.

ترى هل يقصد شيئاً بكلماته هذه؟ هل عثر حقاً على الخطابات التي بدرجها لا تعتقد ذلك، فلو كان يعلم عنها شيئاً لما توقفت المشاجرة عند هذا الحد.. امتدت يدها بسرعة إلى أحد الأدراج أخرجت حقيبة من الجلد فتحتها أمسكت بلفافة من الخطابات وهي تتلفت حولها لتأكد أنه مازال في غرفته. فتحت باب الشقة وراحت تمزق الخطابات وتلقيها في سلة القمامة، ثم أغلقت الباب بسرعة.

كانت هناك عينان تراقبان عن كذب اشتركت مع أذنين تلصصتا لتلمس خيوط المشاجرة من بدايتها، وها هو مفتاح المشاجرة يلقى على بعد خطوات منها.

فتحت حسنية باب شقتها المواجه لشقة الأستاذ صبحي وأسرعت إلى صندوق القمامة وقبل أن تصل يدها إليه سمعت صوتاً يتحرك صاعداً على الدرج هرعت إلى شقتها وأغلقت الباب بينما عيناها ملتصقة بالعين السحرية.

جاء زكريا الزبال ليحمل قمامة العمارة، نظر زكريا نحو الباب الذي أغلق على عجل وراح يهر رأسه في سخرية بينما يده تفرغ ما في السلة داخل جواله وراح يلقيه فوق ظهره ومضى نازلاً وهو ينادي:

– الزبالة ..

انطلق زكريا بعربته المتهاكة كعمره، كأنها تتوارى خلف الزمن لا يظهر منها إلا أطلال تذكره بالماضي القديم.. تتلئ بأكياس القمامة واضعا قدميه فوقها كأنه يضرب الدنيا بحذائه البالي لا يعبأ بالآخرين، فقد تعود ألا يجري وراء شيء ولا يشغل باله بأحد. فكل الأشياء ترتمي تحت قدميه.. تعلم زكريا الكثير خلال سني مهنته. تعلم أن يقرأ ما يدور بخلد أصحاب هذه القمامة.

عندما وصل زكريا إلى الخرابة التي يلقي فيها بقمامة الآخرين راح يفك الجوال بحرص خشية أن تفوح من داخله حكاية من الحكايات وقد ارتسمت على شفتيه تلك الابتسامة الساخرة الباهتة التي لا تعبأ بشيء، فليس هناك شيء مهم.. وليس هناك حاجة لأن يكتب على كل كيس رقم شقته واسم صاحبه، فكل كيس ينضح بما فيه، وحياة الناس ما هي إلا جوال يحوي قمامتهم. أمسك زكريا بكيس .. فتحه وهو يهز رأسه ويحرك إصبعه نحوه.

المهندس عماد.. أعزب يعيش وحيدا في شقة طويلة عريضة ورثها عن أبويه .. عرفه من كم زجاجات الويسكي والشمبانيا الفارغة وعلب الطعام الجاهزة فهو لا يستطيع أن يعد لنفسه كوب ماء.. ولا يتورع عن إلقاء بعض الملابس التي اتسخت حتى لا يحمل نفسه عناء تنظيفها.. إنسان بوهيمي.. حياته هي اللحظة التي يعيشها. يشبه تماما زجاجاته الفارغة.

ألقى زكريا بكيس القمامة بعيدا وسط الخرابة وتناول آخر.. نعم..
إنه هو تلك لفافة الخطابات وبعض الصور التي مزقتها زوجته حتى
لا تصل يده إليها. يالها من خائنة.. تلك الأظرف ونفس الورقات
لمحها زكريا في كيس المهندس عماد.. فهو أخطبوط كبير.. مع أنه
صديق حميم لزوجها صبحي.

ها هي جمالات أرملة المحامي حامد فرغلي أجل.. كان له باع
طويل في المحاماة.. رحل وتركها وحيدة متشحة بالسواد تاركا لها
خمسة أبناء تزوجوا جميعا ولا يفكر أحدهم في أن يطرق باب شقتها
ليسأل عليها.. اللهم إذا وقع أحد منهم في ضائقة مالية.. كيس
قمامتها ينطق بالحزن كل ما يلقي فيه متشح بالسواد مثلها.

أما الأستاذ سعيد مرعي الذي يسكن في الطابق السفلي فهو
موظف بالسكة الحديد.. لديه ثلاث بنات يعشن حياة الكفاف لا
تجد في سلتهم ما ينم عن ترف أو أكلة دسمة.

أفرغ زكريا محتويات العربة من القمامة وراح ينطلق بها بعيدا يهتز
رأسه مع هزات رأس الحمار الذي يجره.. يتسع فمه ليرسم ابتسامة
أخذت تزيد شيئا فشيئا حتى صارت ضحكة عالية ترددت في الخلاء
واشتركت مع نهيق حماره وهو يحمد الله على أنه إنسان بلا قمامة.



ثورة المرضى



برودة تسري في أوصالي، ترتعد فرائسي لشدة البرد، كأن مسا
كهريبا يحتضنني ولا أملك إلا أن أجد مكاني، وبالرغم من تعارفنا
منذ سنوات طويلة إلا أننا لم نتألف فالصقيع والهجير لا يلتقيان،
وبالرغم من كل النظريات التي تؤكد تجاذب الأضداد إلا أنني لا
أؤمن بها، الجاكت الوحيد البالي الذي أملكه لا يمنحني الدفء،
حوائط المستشفى الباهتة تزيد من برودتي، جذرانها المنهارة تذكرني
بما يعتمل داخلي من انكسار، الطعام المسلوق الذي يقدم لي كل يوم
يشعري بتميع كل شيء من حولي، لا أستعذب شيئاً، ربما تعطلت
لدى حاسة الذوق. كم كنت أتمنى أن أتذوق أي شيء، قفزت
إلى ذاكرتي الذكريات البعيدة وأنا صغيرة كم كنت أتلذذ بقطعة
الشيكولاته، كم أشتاق إليها إلا أن السكر اللعين يمنعني من كل

ما أشتهي، أحيانا أضج بكل شيء وأضرب بكلام الأطباء عرض الحائط.

رحت أتساءل في حيرة:

- ترى هل ما زال أحد باقيا على الحياة متمسكا بها، أو قل هل هناك ما يستحق أن نحيا من أجله؟، إن الصراع الدائر في الخارج لا يعني لي شيئا البتة، كم اشتقت لدفع الأسرة والطعام ورائحة الشواء التي تنبعث من مطبخ أُمي رحمها الله، قضيت أياما قاسية على أثر غيبوبة السكر، واليوم يؤشر لي الطبيب بالخروج، لا أرى فائدة من دخولي إلى المستشفى، أو الخروج منها فطابور هنا وطوابير هناك، الفرق الوحيد هو أن الطابور هنا إلي بيت الراحة مجاني.

عدت أدراجي إلي منزلي، كم كنت سعيدا يوم ظهرت القرعة، عرفت بأنني من بين الأفراد المخصص لهم، لم أصدق نفسي عندما طالعت بنفسي العقد ووقعت عليه، ذهبت للاستلام كل شيء معقول إلا شيئا واحدا، عندما أريد أن أدخل للاستحمام أو علي أن أذهب للمبني المجاور لعمارتي والدخول بتذكرة ثمنها خمسون قرشا، عرفت حالات الجيران فالأستاذ صالح يعاني من سلس البول، فهو يضع كرسيًا بجوار بيت الراحة وأحيانا يجلس داخله بالساعات حتى يستغل التذكرة، وأم أحمد سيدة بدينة تحتاج للذهاب لدورة المياه بشكل متكرر، أما أم مصطفى فهي سيدة مسنة، وأبو أحمد حالته مثل

حالتي تماما، مريضاً بالسكر، رحنا نجلس قبالة الحمامات ونتباحث الأمر، ترى كيف نحل هذه المشكلة نأكل ونشرب أم نمتنع، لقد أصبح علينا أن ندفع ستين جنيها شهرياً بواقع أربع مرات يومياً للدخول وبتنا نحلم بحل للمشكلة.

قررنا أن نكتب عريضة للمحافظ نطالبه باشتراك شهري مخفض للتبول.. إلا أن البعض اعترض راحته أم مصطفى تقول:

- لا.. أنا سيدة مسنة وأحمل شهادات طبية من الأطباء، ويجب أن أعفى نهائياً من تذكرة الحمام.

هتف أبو أحمد:

- يجب أن ينظر إلينا المحافظ بعين الرأفة ويسمح لنا بنصف التذكرة عن كل زيارة

رحت أعقب يجب أن تكون هناك مساواة بيننا وبين ركاب الأتوبيس والبوليس.

في اليوم التالي قررنا أن نخرج في مظاهرات للتعبير عن مطالبنا رحلت أنظم المجموعات، هنا يقف من يطالب بإعفائه نهائياً من الاشتراك الشهري للتبول، هناك يقف من يطالب بنصف التذكرة أما من يطالبون بالمساواة مع ركاب الأتوبيس واستخراج أبونيه لدخول الحمامات يقفون في الوسط، قضينا ليلة الليل نكتب اللافتات واتفقنا

على المكان الذي ستتحرك منه المظاهرة حتى تصل إلى مقر المحافظة،
ما إن أعلنت تبشير اليوم الجديد عن نفسها وبدأنا التحرك، انضمت
إلينا أعداد غفيرة فالبعض يظن أننا من كفاية، والبعض الآخر يظن
أننا بعض العمال يطالبون بزيادة أجورهم وآخرون يظنون أنها دعاية
لعضو جديد في المجلس، ومنهم طلبة جامعيون يطالبون بموعد
للغذاء على جدول المحاضرات أسوة بما يتم في جامعات الغرب.

اختلطت الجموع بعضها ببعض.. تداخلت المطالب.. تحركت
جموع الأمن تطلق القنابل المسيلة للدموع وقبض على الكثيرين منا
بتهمة الشغب وإثارة الرأي العام.

عدنا من حيث أتينا كان هم من رجع أن يحجز مكانه في العمارة
المجاورة حتى لو كانت التذكرة غير مخفضة وغير معفاة ليتمكن من
دخوله الحمام سريعا.. عفانا وعفاكم الله.

✽

مرارة المصطفى



دق جرس التليفون . حاولت أن أقوم . أشعر أن هناك آلاما في كل مكان بجسدي .. تباطأت في الرد لعله يوقف رنينه المزعج رفعت السماعة . كانت أمني .. حاولت أن أتماسك فلم أستطع .. جاءت كلماتي متقطعة باردة تشوبها حشرة مخنوقة .. وانفجرت في البكاء .

أكد المخفي زوجك . عملها مرة أخرى . ولكنني أعود فأقول أنت التي اخترته فاشربي ..

كانت هذه هي لهجة أمني كلما اتصلت بي بعد مشاجرة مع زوجي . معها حق لقد حق علي العذاب طول العمر من أجل قرار اتخذته في لحظة طيش .. زواجي من هذا الرجل .. لم أندم علي شيء فعلته في حياتي كما ندمت علي زواجي منه صرت أبغضه من كل قلبي ، تبدل كل الحب إلي شعور بغض ربما أكبر من الكره ذاته .. غفرت له زلات كثيرة وفي كل مرة كنت أجده له المعاذير ، أما هذه المرة

رفعت يدي . تحسست خدي الأيسر . انهمرت الدموع رغما عني . سمعت طرقات علي الباب . ابنتي . أخفيت دموعي سريعا عنها . أحمد الله أنها كانت نائمة وقت الشجار .

- ماما .. ماذا بك ؟

- لا . لاشيء يا حبيبتي ..

وجدتها تقول :

لماذا يا أمي تتشاجران دائما ؟

- إننا لم نكن نتشاجر يا سلوى . بابا كان يحكي لي حكاية وارتفع صوته دون أن يدري . هذا كل ما في الأمر .

- وهل من يحكي حكاية لأحد يصفعه على وجهه يا أماه ؟

حاولت أن أبرر لها مرة أخرى فخانتني أعصابي وكدت أبكي ، فاحتضنتها بسرعة كي أخفي عنها دموعي وسمعتها تقول لي :

- لن أتزوج أبدا يا أمي .. سأعيش معك طيلة حياتي ..

تركتني سلوى وذهبت إلي حجرتها . شعرت أنني جرحت جرحا عميقا لقد تحطم كياني أمام ابنتي الوحيدة .. تذكرت حينها لوم وتأنيب أمي لي بضعف شخصيتي وإهدار كرامتي .. عادت الدموع تنساب من عيني ، كيف أستطيع مواجهة ابنتي بعد اليوم ؟ وكيف أصبحت صورتي في عينيها بعد ما حدث ؟ كيف أحول

تلك النظرة التي في عينيها من عطف وثناء لحالي إلى إعجاب وحب
بشخصية أمها ؟ لا سامحه الله . لقد كسر اليوم شيئاً عظيماً بداخلي ..
فتحت دولاب ملابسني . رحت أجمع كل حاجياتي . وقع بصري
على صورة زفافي بجوار السرير ، امتدت يدي إليها ، رفعتها إلى أعلى
لكنني تراجعته امتدت يدي إليها ثانية ، لم أشعر إلا وأنا ألقى بها
تحت قدمي محطمة إياها ..

بينما أضع حاجياتي في الحقيبة سيطرت على مشاعري ابنتي
سلوى .. عندما ستعيش بعيداً عن بيتها الذي نشأت فيه ، ستفقد
الأب الذي تحتاج إليه لن أستطيع مهما فعلت أن أعوضها عن أبيها ..
سيظل هناك شيء ما بداخلها مكسوراً إنه الشرخ الذي ألم بقلبي
الليلة سيمتد إلى قلبها . ما ذنب أبنائنا أن يدفعوا ثمننا لاختياراتنا
الخاطئة .. لا .. لن أخطئ مرتين .

عدت أفض الحقيبة من جديد أعدت كل شيء مكانه . المنزل
مرتب .. سلوى في غرفتها تستذكر دروسها قمت بوضع شريط
موسيقى بالكاسيت .. حاولت معالجة صورة زفانا التي كسرت
جمعت أشلاءها المبعثرة عاد الإطار كما كان ولكن من يدقق في
الصورة يكتشف أن بها شرخاً عميقاً حاولت معالجته فلم أستطع
تركته ربما يلتئم مع الزمن .

هاهي دقائق الساعة معلنة انتصاف الليل وضعت العشاء على

المنضدة أصرت سلوى أن تنتظر أباهما لتناول طعام العشاء معا ..
جلسنا ثلاثتنا .. توسط المائدة طبق الفاكهة المحبب له أطلت منه
حبات المشمش كاملة الاستدارة بلونها الأصفر الجميل ، لم نتفق أنا
وهو في شيء كما اتفقنا في حبا لهذه الفاكهة بالذات ، كانت حبات
المشمش متراسة بشكل براق ، بريقها يضيء أكثر وهجا من ضوء
طبق الكريستال التي تقبع فيه .

أصرت سلوى أن نتصالح أحنت سلوى رأسي رغما عني
ليقبلها .. ناولني حبة من حبات المشمش أصر أن يطعمني إياها .
وضعتها في فمي رحت أزدردها لم أشعر لها بأي مذاق .. ضروسي
تضغط على شيء جامد لم أحاول اخراجه من فمي راحت الضروس
تطحنه طحنا مع حبة المشمش .. شعرت بمرارة في فمي كالعلقم
رحت استعذب مرارته وانتزع من داخلي ابتسامة ممزوجة بمرارة
المشمش .



الصفحة



عفرية شقية معجونة بهاء العفارية . اللعب واللهو بالنسبة لها كالماء والهواء ، أما كتاب المدرسة والكراسة والقلم فهم ثقل لا تستريح نفسها إليه وبينها وبينه عداوة منذ أمد بعيد ، لا تعلم منذ متى ؟ ربما منذ جاء إليهم الأستاذ صفوت أبو العلا مدرس الحساب ، تجلس في الفصل مثلها مثل الدرج التي تجلس عليه . تظل تشاءب طول الحصّة وهي تدس رأسها في الدرج حتى لا يراها الأستاذ صفوت ويطلب منها القيام للإجابة أو للتسميع ، وبالطبع ستظل واقفة كعادتها لا تجرؤ على البوح بالإجابة حتى ولو كانت تعرفها . وستكون أضحوكة الفصل ومصدر سخريتهم طوال النهار .

هذه أنا . صفاء السيد شهبول .. في سنيها الأولى .. كثيرا ما كنت أتساءل فيما بيني وبين نفسي .. ما أهمية أن نتعلم ؟ لماذا نستيقظ يوميا في هذه الساعة المبكرة من الصباح لنذهب إلى المدرسة ، ونظل نسمع

كلما يصدع رؤوسنا . فالمدرسون لم أجد فيهم يوما من يشجعني أو يشعرني بأهميتي فكنت أنزوي في مكاني الأسير في آخر الفصل في منأى عن عيون المدرسين .

وكان يوم الخميس هو أحب الأيام إلي قلبي خاصة الحصة الأخيرة فبعد دقائق سأعود إلي البيت لأمرح وألهو كما يحلولي يومين كاملين . فأنام وأستيقظ كما أشاء ولن تهزني يد أمي في الغد لتوقظني وهي تنعني كعادتها بالكلمة التي أمقتها مقتا شديدا «يا كسولة» ..

وها قد جاء يوم الخميس وكنت في أوج سعادتي ، ولكن وقع ما كنت أخشاه .. مد الأستاذ صفوت بصره إلي وكأنه يقصدي بالذات .. أعاد علي السؤال الذي لم أسمعه في غفلة مرة ومرات ووقفت كعادتي ، لم أحر جوابا توقعت أن يكون العقاب كما ألفته من الأستاذ صفوت أبو العلا كالزجر والشتم والتأنيب والتذنيب طوال الحصة ولكن كان حكم الأستاذ هذه المرة قاسيا للغاية .. أشار إلي ماهر وهو من أنبغ التلاميذ لكي يجيب علي السؤال . وبالطبع كر ماهر الإجابة كرا كأنه يقرأها من كتاب . فإذا بالأستاذ صفوت يأمر ماهر بصفعي على وجهي .

أهون علي لو صفعني المدرس بنفسه ، تردد ماهر ، عنفه المدرس بشدة ، هدهد إن لم يضر بني فليضر به هو بنفسه ، ولم أدر إلا والدنيا تدور بي علي أثر لكمة قوية من يد ماهر وأحسست أن بريقا قويا

كاد يخطف بصري . وتحجرت الدموع في مقلتي ولم تسمع أذناي
ضحكات التلاميذ من حولي .

دق جرس الحصة حاولت أن أتحرك من مكاني فلم أستطع تمنيت
لو لحقت به لأردله الصفعة ولكن أبت قدماي أن تتحرك . عدت
إلى البيت ، لم يشعر أحد بالمنزل بعودتي . انزويت في حجرتي ، لم أكن
أبكي بل أفكر ، لأول مرة يعمل عقلي ، فلم أعتد أن أستعمله في شيء
قبل اليوم ، استعملته فقط في الأخذ بالثأر والانتقام .

لم أنم ليلتها قضيت الليل طوله أحفظ الدرس الجديد أذاكر بجد
بعد أن وجدت هدفا أسعى إليه حتى ولو كان هذا الهدف صفعة
أردها على وجه من صفعني .

انتظرت يوم السبت بصبر نافذ ورحت أعد الساعات وكأنني
أنتظر يوم العيد . يوم أن أثار لكرامتي التي أهدرت أمام جميع
التلاميذ .. وجاء اليوم الموعد انتبهت لكل كلمة يتفوه بها المدرس .
وجاءت اللحظة التي أنتظرها قبل نهاية الحصة عندما طلب الأستاذ
صفوت من غريمي اللود ماهر أن يجيب على أحد الأسئلة ولم يكن
ماهر مستعدا . فأخفق في الإجابة ..

يا لفرحتي .. أنا . أنا .. ظلت أردها بحماس ونشاط غير

عادين لفت انتباه الأستاذ صفوت فقال كما لو كان واثقا من إخفاقي:

- قولي يا صفاء ..

ووسط دهشة الجميع رحت أجيب بسلاسة ومهارة ولدهشتي وجدت الأستاذ صفوت أبو العلا يهز رأسه في امتنان وهو يقول:

- أحسنت يا صفاء . اجلسي .

ودارت الدنيا أمام عيني .. لا . لم يكن هذا الذي أريده .. أين مكافأتي ؟ .. أين الصفعة التي ظللت أحلم بها منذ يوم الخميس .. وانفجرت في البكاء ..

- ما الذي يبكيك يا صفاء ؟ أتبكين لأنك أجبت صوابا ؟ لماذا لم تبك إذن على أخطائك في المرات السابقة ؟

قالها الأستاذ صفوت وكأنه يلوم كبريائي .. بينما ردد التلاميذ:

- هذه أول مرة تجيب فيها صفاء صوابا يا أستاذ ..

- لا شأن لكم بها وانتبهوا للدرس ..

مرت سنوات حتى أنهيت دراستي الجامعية . ولكن ظل هناك شيء ما يؤرقني وجاء يوم تسلمي العمل في إحدى الشركات . ذهبت متأنقة . دخلت مكتب المدير الذي مديده مصافحا إياي متمنيا لي

التوفيق في عملي الجديد . ضغط المدير علي أحد الأزرار ليدخل بعد قليل شاب عرفت أنه سكرتيره الخاص ، وانتبهت علي صوت المدير يقول محدثا الشاب :

- أستاذ ماهر .. خذ الأنسة صفاء إلي مكتبها وعرفها بطبيعة عملها.

والتفت إليه وأنا أمد له يدي مصافحة ، وما أن وقعت عيناى عليه حتى صعدت الدماء إلي رأسي بقوة وشعرت بنبضات قلبي تدوي ، حتى كاد يخرج من بين ضلوعي وكأنني سيغمى علي .. وارتفعت يدي لتحسس وجهي ولم أدر إلا بصرخة تدوي في المكان .. كانت صرخة ماهر .

وتركته يتحسس وجهه وسط ذهول رئيس العمل الذي أخذ ينظر لي وكأنني مجنونة وراح يغلق ملفي ، بينما خرجت من مكتب المدير بلا رجعة ، ربما فقدت وظيفتي لكنني شعرت يومها فقط بأني تأرت لكرامتي الجريحة وكبريائي المهدر . لقد رددت له الصفعة ..



رائحة الذكريات



دق جرس المدرسة معلنا موعد انصراف الطالبات، وكنا قد شعرنا في ذلك اليوم بالإعياء الشديد فلقد استأثرت أبله وداد بحصتين واحدة للتسميع مع استخدام العصا، والثانية لشرح بعض الدروس، حمدت الله أن مر ذلك اليوم على خير، فلا أدري ما الذي يصيبني يوم أن تأخذنا أبله وداد، فهو بالتأكيد يوم قاس لا نملك له ردا، فحصة أبله وداد تذكرني ببركان خامد واختار وقت فوريانه في حصتها.. تحمر عيناها ووجتها وتشتد قبضتها على العصا.

كنت ممن يحملون شارة الشرطة المدرسية على ذراعي، فخورة بها فلدي سلطات لا يملكها غيري، أستطيع أن أمنع الطلاب من الدخول للفصل وقت الفسحة، ويمكنني أيضا أن أسمح لهم، وبما إنني شرطة لا بد أن أمنع..

نعم أمنع أي فرد من عمل أي شيء، حتى ولو كان دخول دورات

المياه، عبثا حاول التلاميذ إقناعي أن يدخلوا دورات المياه ثم يهبطوا مباشرة إلى الفناء، ضاع جهدهم أدراج الرياح، ولم يجد التلاميذ غير الفصول لقضاء حاجاتهم فيها، وبينما كنت أقف كالغيلم على باب دورة المياه، وأنا أشعر أنني حققت نجاحا أمنيا غير مسبوق ككل رجال الشرطة حسب علمي عنهم أن لديهم غريزة المنع، فوجئت بمديرة المدرسة والوكيلة وأبلة وداد يأتين إلي يرجونني حتى أترك مكان الخدمة بعد أن صارت الفصول من الصعب الدخول إليها بعد ما حدث فيها . ما زالت أنوفنا تحمل منها طرافتها كلما شممت رائحتها عبر شريط ذكريات الطفولة البريئة.



النيمات



توجهت بحرص شديد نحو خزانة ملابسي .. أخرجت منها تلك اللعبة التي تحمل سري .. علبة قطيفة زرقاء قديمة، تحمل الشارة، نعم .. شارة حمراء .. تمكنت كثيرا أن أضعها على صدري، فالشارة كلمة السر لفتح الأبواب المغلقة، وكأن الجميع يحترموني لأنني أضع مثل هذه الشارة، أبذل قصارى جهدي حتى تكون من نصيبي في كل شهر، فهي العلامة التي تظهرني أمهر الجميع، بالرغم من إصابتي الأخيرة التي أضاعت مني أكثر من درس، إلا أنني حاولت أن أُلِم بهذه الدروس التي فاتتني بمساعدة مدرساتي وزميلاتي، اقترب العد التنازلي من موعد الإمتحانات، زاد سهري وكدي وبذلت جهدا مضاعفا، لا أتصور نفسي وقد تراجع عن ترتيبتي وكلما طاف هذا الهاجس بنفسي ازدادت إصرارا وتصميما .. جاء يوم النتيجة وكانت

سعادتي لا توصف عندما نادتنى المديرية وسط طابور الصباح لتعلق على صدري نيشان التفوق.

أسير بالمدرسة مزهوة بنفسي، وكأنتني أملك الدنيا بأسرها، فسقف أحلامي تلك الشارة الحمراء، عندما عدت إلى المنزل كانت سعادة أُمي بالغة، احتفت بي احتفاء زاد من ثقتي بنفسي، ومع عودة والدي ومعرفته بالخبر كان لي نصيب الأسد من الهدايا، وزيادة المصروف والحلوى والنزهات الأسبوعية التي أفوز فيها معه بطبق من الأرز باللبن، أو بطبق من المهلبية بالقرفة والمكسرات.

إلا أنني اليوم لا أشعر بهذا التقدير، دخلت فاطمة زميلتي في العمل، وراحت تقوم بحركات إنسيابية بهلوانية كأنها مهرج في البلاط الملكي، والمدير لم يتمالك نفسه من الضحك، ثم رمت عليه «الصباح وحته».. فأصبح كما يقولون «ميت فل وأربعتاشر».. لا أدري لماذا هذا الرقم بالذات ليعبر عن الحالة القصوى للمزاج السليم أو دائماً يقولون «مزاجه عنب»، ربما لأن العنب يفسد بسرعة شأنه في هذا شأن المزاج؟!!

ربما.. حقيقة لا أدري.. أخرجت فاطمة علبة قطيفة زرقاء ظننتها في البداية علبتي القطيفة التي بها الشارة ولكني لمحت فيها خاتماً ذهبياً.

لمعت عينا المدير وخرجت فاطمة من المكتب وقرار ترقيةها في يدها، بينما اكتفى المدير بالنسبة لي بأنه لا توجد درجات خالية، وانكب على العمل مرة أخرى، دون أن ينظر إلي، أدركت أن شارقي لم يعد لها وجود لقد ظهرت شارات أخرى لها الأهمية والسبق. وأن شارقي ستظل حبيسة علبتها القטיפيّة أطل عليها من حين لآخر فلم تعد إلا تحفة قديمة عفا عليها الزمن.



أبلّة وداد



عينها الضيقتان تشعان بوميض الذكاء الذي يظهر كفلاشات خاطفة، فمها الدقيق الذي لا يعرف سوى الحديث في مادة العلوم، والعقوبة لمن ينسى جديتها المعهودة فضحكتها بحساب، كنت أفكر هل تضحك أبلّة وداد مثلنا، فلم أسمعها تضحك كأبلّة فاطمة عيش مثلاً، التي كانت تنطلق ضحكتها في أنحاء المدرسة لتعلن عن وجود أنثى غير عادية، فينطلق الأساتذة تاركين فصولهم وحصصهم ليبحثوا عن مصدر الضحكة الأنثوية الخطيرة، أما أبلّة وداد فهي قصيرة ومكتنزة إلى حد ما، ترتدي (جيب) قصير وطقم مكونا من قطعتين..

كان ذلك الطراز في تلك الأيام موضة ويفضله السيدات العاملات وغيرهن، شعرها القصير البني المائل للحمرة، يتفاعل مع وجنتيها إذا لاحت منها أمارات العصبية والتوتر، عندما نخيب أملها

في الإجابة بعد حصة ساخنة مفعمة بالشرح الوافي، أستاذة ممتازة في مادة العلوم لكنها قاسية للغاية، كان الجو مظلماً نذهب للمدرسة في الفترة المسائية أو قسم الظهر، كما كانوا يطلقون علينا، ولا يتركوننا مع مشاعرنا البغيضة لهذه الفترة وفقط وإنما يشيعوننا بأغنيات قد لحنوها خصيصاً ليمعنوا في أذاننا فيرددون معاً وكأنه نشيد قومي.

- اسم الصباح شاطر يضرب بالخناجر .. اسم الظهر بليد يضرب بالشلاليت.

كنا نحقد على هؤلاء الذين يخرجون وقت الظهر، ليأرسوا يومهم كالمعتاد ويتناولوا غذاءهم مع أسرهم، وفي المغيب ينهون أعمالهم اليومية ليناموا مبكراً ويشاهدوا المسلسل اليومي لأنهم أنهم أوجباتهم ..

أما نحن فنخرج من المدرسة مع آذان المغرب، نشعر بالسأم والملل وعدم الرغبة في الذهاب إليها، لا أدري لماذا أشعر بالحزن والكآبة لحظة خروجي من المدرسة في ذلك الوقت المتأخر والظلام يفرد أجنته على الكون .. الجو كله يعطيك إحياء بالنوم حتى المدرسين غير مقبلين على التدريس في هذه الفترة المسائية، إلا أبلة وداد نشيطة كعادتها.

انقلب الجو فجأة في ذلك اليوم برودة شديدة، أمطار غزيرة

جعلت أطرافى تتصلب، وأسنانى تصطك ببعضها بالرغم من أننى
أرتدى ملابس صوفية ثقيلة، أشعر بالبرد يخترق عظامى، أرتجف
ككتكوت صغير مبتل خرج لتوه من بيضته، أقبع فى ركن من أركان
الفصل.. الرعشة تسرى فى أوصالى، ابتلت ملابسى من شدة المطر،
بدأت أسعل وأعطس.. فوجئت بيد تربت على كتفى.. شعرت
لملمسها دفئا، هداً من روعى، عندما التفت وجدتها.. أبلة وداد
لمحت على شفتيها ابتسامة رقيقة فوجئت بها تخلع الجاكت الذى
ترتيه وتلبسنى إياه، منذ ذلك اليوم أحبيت أبلة وداد رغم قسوتها،
وأصبحت أرى فى عينيها الضيقتين حنانا وعطفا غامرا لا أراه فى
عيون أكثر اتساعا وأقل قسوة..



أستاذ زاهر وأبله عصمت

لا أدري لماذا تذكرت أستاذ زاهر في هذا الوقت، لقد عكر صفو حياتي، شعرت منذ زمن أن بيني وبينه ثأراً قديماً أريد أن أقتصه، ربما من أجل أبله عصمت، لم أكن أتخيل أنني أتزوج رجلاً مثل أستاذ زاهر.. نعم لقد كان زوجي نسخة مكررة منه، لم أشعر تجاهه يوماً بالحب ولكنها حياة فرضت علي دون أن أختار لم أشعر أنه اختارني، ولكن الظروف وضعتني في طريقه، ترى هل ضاعت حياتي وهل ضاعت فرصة الاختيار للنهاية؟

ملاحظها رقيقة كملاح طفل يحبو يتحسس العالم الخشن، فيحتك جسده الرقيق بقسوة ملمسه، تميزها تلك التسريحة التي تزيدها جمالا، بالرغم من تعارض تسريحة الأسد التي تخالف طبيعتها الرقيقة الوديعة كغزال بري رقيق وتساءلت بيني وبين نفسي لماذا اختارت أبله عصمت هذه التسريحة بالذات؟!

ربما لأنها تحتاج إلى أنياب وحوافر، لتخالف طبيعتها الهادئة الرقيقة، إنها أشبه بأرنب وديع رقيق، ولكن أحيانا تكون الأرناب بحاجة إلى مخالب نمر وأنياب أسد وسم ثعبان كان هذا تماما ينطبق على الأستاذ زاهر، لم يكن يتفق معها في أي شيء، كنا نتساءل فيم بيننا :

- ألم تجد أبله عصمت أفضل منه، إنه لا يتناسب معها على الإطلاق ..

دق جرس الفسحة وجاءت صديقتي عواطف مسرعة تهمس في أذني:

- تعالي بسرعة الحقي هايفوتك نصف عمرك ..

تركتني ومضت مسرعة، شعرت ببعض الاضطراب ترى ماذا حدث ؟ لم يكن هناك وقت لأفكر وأخمن ماذا حدث جريت وراءها مهرولة لأجد الفتيات قد تكالبن فوق بعضهن وعندما لمحنتي عواطف قالت لي :

- اسرعي من هنا ..

أفسحت لي مكانا بالكاد لكنني لم أفهم ما يحدث فقلت لها:

- ماذا هناك يا عواطف ؟

راحت تقول في تأفف:

- ماذا دهاك ؟ ألم ترين أستاذ زاهر انظري ها هو ..

قلت لها :

- وماذا في الأمر ..

ازداد غيظها وحنقها علي كأنني سأقطع عليها مشاهدة لقطة مثيرة
من فيلم لعبد الحليم حافظ .. وقلت لها :

- هل يقف مع أبله عصمت ؟

ازداد تأففها وعلا صوتها :

- يا صبر أيوب، هل أصابك العمى الحيثي، ها تفوتي علي

الفرصة إنها أبله فاطمة عيش .. ألا ترينها !!

كانت أبله فاطمة رائعة الجمال جسد مرمرى، بشرة ناصعة البياض
كالثلج، ووجه صبوح وعيونها السوداء بأهدابها الطويلة الكثيفة
المنسدلة على عينيها كمخمل يحميها من عيون الطامعين، تسير
فيرتج كل جزء فيها بطريقة انسيابية محسوبة، كأنها فرقة موسيقية
تعزف لحنا أسطوريا، تتابعها عيون المدرسين الذين اصطفوا
حتى لا يفوتهم نغمة من نغمات اللحن .. تلاحقها عيون الفتيات
والمدرسات، كل شيء فيها ينطق بالأنوثة الطاغية، تعلن عن نفسها
بصراحة غامرة فتجتاحك كطوفان أنثوي، حتى تجد نفسك - غرقان
لشوشتك .

شعرت بصدمة عنيفة وأنا أرى أستاذ زاهر يكاد يلتهم أبله فاطمة بعينه النهمتين ، يهمس في أذنيها بكلمات لتتعالى ضحكاتهما في الفضاء ، كلما تعالت ضحكاتهما كلما ازدادت الفتيات هياجا وأحدثن ضجة عارمة وتزاحمن فوق بعضهن تحاول كل منهن أن تجتهد لتخمن ماذا يقول لها أستاذ زاهر لترقع هذه الضحكة عالية مجلجلة في الهواء فتوقظ شياطين الرغبة في نفوس الضعفاء منهم ..

ابتعدت عن الجمع وأنا أتساءل .. كيف يخون أبله عصمت؟! ..!

تحولت الفتيات إلى النافذة الأخرى وعواطف تناديني :

- تعالي بسرعة فيه تطورات خطيرة في الموقف ..

لم أتمالك نفسي فقد دفعني حب الفضول لرؤية ما يحدث .. أبصرت أبله عصمت تبكي وحولها أبله وداد ، وأبله حبيبة وبعض المدرسات يهدئن من روعها وانفعالاتها ذكرتني بست الحسن والجمال والساحرة الشريرة رحت أصيح في غضب .

- أنا لو مكانها أتركه فوراً ..

وجدتني أحدث نفسي هل هذا صحيح ؟ أأست في مكانها بل في مكانة أقل من مكانتها ربما هي كانت على البر لم ترتبط به بعد ولم يحكم عليها بقضاء العقوبة في زناانة منفردة منعزلة عن كل من تحبهم ويحبونها ربيع قرن قضيتها من عمري .. ضاعت أجمل السنوات ولم أحقق شيئاً ..

شعرت بكراهية لأستاذ زاهر كنت أتمنى أن آخذ لها بثأرها فهو
يمعن في إيذائها وإهانتها أمام الأخريات و لا تحاول أن تتأثر لكرامتها
لقد أدركت أنها لا بد وأن تتركه بعد هذا الموقف لكن الغريب وجدته
هو المتأفف وهي التي تحاول إرضاءه..

شعرت بالغيظ منها.. لا بل الإشفاق عليها ينبغي أن تكون
شخصيتها أقوى من ذلك عليها أن تواجهه وتخبره أنها لا تريده،
وأن تقف في وجهه.. انقضى العام وانتقلت إلي صف دراسي آخر،
وفوجئت بأستاذ زاهر يدرس لنا الرياضيات أدركت أنني لن أنجح
في هذه المادة ، فأنا لم أعد أحبه ولن أفهم منه.

في أول حصة له حدث ما كنت أخشاه، وجدني شاردة لا أتكلم
معه.

فقال لي:

- قومي يابنت يا تحينة.

صدمت من كلامه اللاذع، ولم أجب عليه، كادت الدموع
تنهمر من عيني ، لولا أنني تماسكت ، حتى لا يرى دموعي فيبدو أنه
يستمرىء دموع الأنثى ويستعذبها.

مضيت إلى حجرة مدير المدرسة لأشكوه، تعاطف معي مدير

المدرسة، خصوصاً أن سمعة الأستاذ زاهر في معاكسة الفتيات داخل وخارج المدرسة تسبقه، عشت مشكلة أبله عصمت فلم تعد القضية قضيتها أو قضية مدرسة أحببتها.. لكنها أصبحت مشكلتي أنا لقد صرت أنتقم من كل الرجال في شخص الأستاذ زاهر أريد أن أثار لأبله عصمت السلبية التي لم تقف أمام هذا الرجل المغتر برجولته أستاذ زاهر..

اشعر أنه نغص على علاقتي بعزت زوجي بعد هذه السنوات الطوال، في كل موقف يقوم به عزت لم أرد على أفعاله.. لم أره يوماً سوى الأستاذ زاهر.. كنت أعنى ألا أكون نسخة باهتة لأبله عصمت وهي ترضى بالذل والهوان من أجل حبها.

عاود الاتصال بي، ألح في طلبي، حاولت الإفلات وقمت بإلغاء المكالمات لكنه أرسل لي رسالة يقول فيها:

- شعرت بالاحتياج لك ولأول مرة، أشعر أنني أفتقدك بالرغم من مرور سنوات طويلة علينا معا.. عودي بسرعة يا حبيبتي .

لم أصدق يوماً، وجدتني أرد عليه برسالة:

- حاجز يفرق بيننا، أحاول اكتشاف العالم الذي فقدته يوماً علي يدك .

همست لنفسي:

- ترى هل يمكنني الاختيار؟

شعرت بنظراته الساخرة، تظهر لي علي شاشة الموبايل وضحكاته التي تستهزئ مني وبكل ما أقول أو أفعل سمعته يقولها :

- بالطبع لن تستطيعي.. لن تأخذي النيشان الذي تحلمين به، ولن أمنحك هذه الفرصة، غطت الدموع وجهي، مددت يدي لأمسح هذا السيل المنهمر من الدموع، أتمنى ألا أبكي أمامه، أريد أن أقوى على الاختيار، لكن مازال هناك شيء أحمله له ولا أدري كنهه؟

تمنيت لو عرفت أخبار أبله عصمت وأستاذ زاهر، بحثت في أجندة تليفوناتي القديمة وجدت تليفون عواطف صديقتي لم تصدق نفسها عندما سمعت صوتي، راحت تسألني عن أخباري وماذا فعلت بي السنون .. سألتها هل تعرفين شيئاً عن أبله عصمت وأستاذ زاهر، لكنني فوجئت بها تضحك بشكل هستيري وتقول:

- ياه أنت لسه فاكره الموضوع ده.

وجدت نفسي أحتد وأقول لها أرجوك يا عواطف أخبريني ماذا فعلت أبله عصمت مع أستاذ زاهر؟

توقفت عواطف عن الضحك وفي صوتها رنة استغراب لاهتمامي
بهذا الموضوع بعد كل هذه السنوات وقالت لي :

- الشيء الذي لا تعلمينه أنها لم تستطع تحمله ولم تكمل حياتها
معه ..

تفوهت رغما عني الحمد لله لقد شعرت بالراحة .. الآن يمكنني
الاختيار ..



عصابة الغلبة



يوم الجمعة عيد للأسرة، أهم شيء يفرحنا نحن الصغار إننا سوف ننام كما نريد فليس هناك استيقاظ مبكر للمدرسة، ننام كما يحلو لنا والإفطار على مائدة الأسرة جماعة، فقد كنا نعشق الطعام بشكل جماعي يتخلله حديث عذب عن كل شيء، وبخاصة عندما يكون والدي بيننا فظروف عمله لم تكن تسمح له أن يتواجد بشكل مستمر، فهو يسافر دائما.

يستعد الجميع لصلاة الجمعة، تعد أمي كل شيء من ملابس وإفطار، عندما نستيقظ تكون قد جهزت الإفطار على المائدة، وبدأت في إعداد طعام الغداء كنا نطلق علي يوم الجمعة يوم الروائح ففيه نشم رائحة الشواء، ومختلف صنوف الطعام، احتفالا بوجود والدي ووجودنا جميعا في المنزل ونظل نلاحق أمي أن تعطينا لتذوق طعم هذا وذاك، تختلط رائحة الشواء اللذيذ التي تُسِيلُ لعابنا برائحة البخور الجاوي الذي تعشقه جدتي، وتصر أن تطلقه في أفنية البيت وغرفته وقت آذان الجمعة.

رائحة البخور تزعج أُمي كثيراً فتشعر بالاختناق، لكن جدتي لا تعباً بذلك المهم أن تبدأ طقوسها في الوقت الذي تريده هي، وبالشكل الذي يرضيها، وعندما تلومها أُمي تقول:

- البخور بركة في البيت يبعد العين ويطفش العفاريت.

فترد أُمي :

- ده احنا اللي ها نطفش.

تجيبها جدتي بكل ثبات:

- بخاطر ك يمكن تكوني منهم أشتاتا أشتوت ..

راحت الأبخرة تتصاعد كأنها مارِد عملاق يوشك أن يتجسد، وكم كنت أتمنى أن يخرج المارد من القمقم ويريح أُمي من صفيحة الغلية، التي كانت فيما سبق صفيحة سمن أو جبن بالحجم العائلي، وتقوم أُمي بغلي وتعقيم الملابس مع إضافة المستحضرات المختلفة للغسيل، ومن حين لآخر تقلب الغسيل رأساً على عقب، بواسطة عصاية الغلية كنت أضحك كثيراً من هذا الاسم الذي لصق بها ولم تختره بالرغم من أن لها وظائف أخرى كنفض المراتب والسجاد، ونفضنا نحن أيضاً إذا احتاج الأمر فإذا أخطأنا فالعصا أشد عقاب يعاقب به من يخطيء خطأ فادحاً حيث كان والذي يكرر شعاره «العصا لمن عصى».

لم يكن والذي يجب أن يلجأ إليها على -الفاضى والمليان- كما

يقولون ولكن العلة قد تمتد من سنة إلى أخرى، فصبره ليس له حدود.

ما أجمل رؤية ملابسنا وهي جافة نظيفة بيضاء بياضا ناصعا، كأنها حمائم بيضاء ترف بأجنحتها، تشتم فيها عبير النظافة فتبعث في النفس الهدوء والطمأنينة والإنشراح .. كنت أحسب أن العالم كله في نقاء تلك الحمائم البيضاء.

ظل موقد الكيروسين -يوش- منذ الصباح الباكر وحتى وقت متأخر من الليل ، كأننا في المطار ما بين صعود وهبوط وأزيز يُزيد الطنين في الأذن، يرتفع الضغط ويزداد السكر عندما يلوي المذكور لسانه ، وكأنه طفل مشاكس يعاكس أُمي فتغزه بإبرة الوابور، لعله يحس على دمه، لكنه يلوي بوزه ويخرج لسانه على الجانب الآخر حتى يشتد الصداع بأُمي وتعصب رأسها، تزداد عصبيتها ويزداد شجار جدتي لأنها تريد أن تنفرد بدخول دورة المياه ولا تريد أن يعكر صفوها هذا الضجيج، عندما تنتهي أُمي من مباراة الغسيل، تطفئ الموقد نصفق جميعنا، ونهنيء بسلامة الوصول إلى أرض الوطن ، وبالرغم من إنهاكها وشعورها التام بالإرهاق، لا يفوتها أن تقوم بعمل كيكة أو نأكل عريزة اللذيذة ، وفي نهاية اليوم طلبت مني جدتي أن أذهب لأشتري لها -حق نشوق- ، كان التعب قد نال مني ولعب برأسي فرفضت الإنصياع لطلبها، ليأتي والدي بالعصا لتمارس وظيفة من وظائفها معي، وبدلا من أكل عريزة اللذيذة أكلت علة ساخنة .

عفريت الأستاذ عبد القادر



حصة الأستاذ عبد القادر .. كارثة حقيقية .. مأساة .. تحدث كل يوم، في الصباح أخشى أن تقع عينه علي فلن يعتقني لوجه الله مهما أنجزت واجباتي بحذق ومهارة ، لكن لا جدوى من ذلك سيجد لي خطأ ليعاقبني عليه، ولن أستطيع الإفلات من الواجبات أو حصته ..

في المساء أعود للمنزل وأحمل هم إتمام الواجب، بت أكره حصة اللغة العربية حصة الأستاذ عبد القادر ، وجهه الأسمر الذي استحال لبحيرة من العرق يتصبب فوق جبينه من الانفعال المستمر، قسماته المتشنجة طوال الوقت، ذلك العرق النافر في جبهته كلما عاقب أحدا منا، أسنانه التي يضغط عليها في غيظ مكتوم ، عينه الجاحظة وهي تدور في وجوهنا، كأنه يود لو افترسنا جميعا - يدها المعروقتان تتشجان بمجرد أن يسمع صوتا داخل الفصل.

كنت أشعر أن مجرد رؤيته لنا ينشط لديه هرمون الأدرينالين فيتوتر، وتبدأ أعصابه الرفيعة المنزوعة من جريد النخيل في لسوعتنا، كنت أشفق عليه أحيانا عندما أرى عروقه تتمدد وتتفخ تكاد تنفجر من ذلك الوجه المحتقن، لدرجة أي في كل ليلة أنجز الواجب المدرسي الخاص بأستاذ عبد القادر وأضع رأسي على الوسادة ولا يساورني سوى حلم واحد لا يفارقني .. كابوس عبد القادر، فيهيأ لي كأنه مارد عملاق قدمه في الأرض ورأسه في السماء، تلمع عيناه في الظلام ويمد ذراعيه الطويلتين نحوي، تطبق يده على عنقي .. تضغط بشدة .. أرتجف .. يطيح فينا ونحن نهرع منه في صراخ، أختنق .. أتملص بصعوبة أستيقظ على صراخي.

ذات يوم ذهبت إلى المدرسة وأنا أرتجف أدعو بيني وبين نفسي أن يغيب الأستاذ عبد القادر لأي سبب من الأسباب، لكن كيف يحدث ذلك وهو الذي لا يتخلف عن مواعده، يأتي مع دقائق جرس الحصة، كنت أشعر أن المرض يخشى الإقتراب منه.

لدهشتنا جميعا لم يأت الأستاذ عبد القادر، ومع ذلك ظللنا جالسين في مقاعدنا صامتين، نتوقع ظهوره في أية لحظة.

فجأة دخل علينا مدير المدرسة ليعلن خبر وفاة الأستاذ عبد القادر مدرس اللغة العربية، صمت الجميع .. خيم على المدرسة جو

من الحزن والكآبة .. بكيت يومها كما لم أبك في حياتي .. شعرت
بتأنيب الضمير .. ربما رغبتني في الحلم هي السبب .. حلمي هو الذي
قتل الأستاذ عبد القادر .. لكنه مجرد حلم ..

عدت إلى البيت ، قمت بعمل واجبات اللغة العربية في وقت
قياسي على الوجه الأمثل الذي يرغبه أستاذي .. خوفا من عفريت
الأستاذ عبد القادر أن يقتحم الحلم ..



أبلّة سعاد والرّهام الشعر



سيطرت على قلبي وعقلي بمظهرها الوقور، تسريحة شعرها البسيطة ابتسامتها الجادة نظرة عينيها المحددين كشخصيتها تماما، لقد رسمت أبلّة سعاد لنفسها خطا مستقيما تسير عليه منذ أن كانت مدرسة، حتى خيل إلي أنها أول من اخترع الخط المستقيم، فهي تضبط كل شيء بالمدرسة صارمة مع المدرسين والمدرسات قبل الطالبات، فأبلّة سعاد تعني الانضباط والالتزام والتفوق..

عندما كانت أبلّة سعاد تدعوني لمكتبها أشعر بالسعادة، لأنها تحترمني.. تعاملني كأحدى مدرسات المدرسة..

تعتمد علي في أمور كثيرة.. أشعر أنها مدرستي وعلي أن اعمل كل شيء من أجل فوزها بلقب أفضل مدرسة.. خاصة أنني أمثل اتحاد الطالبات بالمدرسة، وقد رشحت على مستوى المديرية بفضل

أبلة سعاد وتشجيعها لي .

عندما دخلت مكتب أبلة سعاد .. وقفت إجلالاً واحتراماً
لمديرة المدرسة .. فوجدتها تعاملني وتحادثني ببساطة .. لا تخلو من
التكلف، وود لا يخلو من التصنع وحب واحترام جعلني أحبها من
كل قلبي قالت لي:

- أنا أعلم جيداً أنك شاعرة موهوبة .. خفضت رأسي خجلاً.

استطردت أبلة سعاد وقالت:

- أريد منك أن تكتبي قصيدة عن احتفالنا غداً بالسادس من
أكتوبر ولا تنس أنك في مدرسة تحمل نفس الاسم .. لتلقها بنفسك
أمام التبادل الطلابي الذي سيزورنا غداً بهذه المناسبة ..
وجدت نفسي أعيش دور الشاعرة الموهوبة وأخذتني الكرامة
لأقول لها:

- إذا استطعت يا أبلة سعاد سأكتب القصيدة .. فأنت تعلمين أن
للشعر إلهاماً ولا أدري ربما لا يأتيني الإلهام اليوم أو غداً .. وأنهيت
اللقاء بقولي سأحاول أن أكتبها
قالت لي :

- ضروري .. حاولي وستفليحين

- خرجت من مكتب المديرة ولا أستطيع أن أخفي معالم السعادة

التي أشعر بها فمديرة المدرسة تعترف بنفسها أنني شاعرة ولست أي شاعرة بل شاعرة موهوبة .. والدليل أنها كلفتني أنا الوحيدة دون باقي الطالبات في المدرسة بتأليف القصيدة وإلقائها في حفل المدرسة في الغد .. لم تكن أبلة سعاد ككل المديرات والمديرين فمن ترضى عنه لا بد وأن يكون أهلاً لذلك فهي لا تجامل أحداً مهما كانت صفته أو كنيته الكل لديها سواسية ..

وصلت إلى البيت .. بدلت ملابسني على عجل .. اختليت بنفسني في حجرتي .. أخذت أعتصر ذهني محاولة العثور على بعض الكلمات التي يمكن أن تكون أبياتاً، وكلما نادتنني أمي تعللت بأني اكتب شيئاً مهما وأنتظر الإلهام بل إني اشتبكت مع إخوتي الصغار لأنهم يتشاجرون معاً فيضيعونه مني، وربما جاء الإلهام في تلك اللحظة التي كانوا يتشاجرون فيها .. ويذهب دون رجعة ..

جلست لتناول الغداء مع أسرتي متعجلة .. متلهفة مفتقدة شيئاً ما .. شعر والدي بثمة شيء يعكر من صفوي فسألني فقلت له في تعجب :

- تصور يا بابا عندنا زيارة غدا في المدرسة والمديرة تريد مني أن أقوم بتأليف قصيدة حتى ألقياها في الغد عليهم !!
أجابني: وماذا في الأمر ؟

- قلت كيف أضمن أن يأتيني الإلهام فقال والدي

- إلهام ماذا؟!!

قلت له :

- إلهام الشعر يا والدي .. فإلهام الشعر ليس تحت أمري ربما لا يأتي

فكيف يكون الحال إذا لم يأت ؟

ابتسم والدي بحنكة الأب الخبير وقال :

- حاولي ولن تخسري شيئاً، ابتعدي عنا واستدعه.

كانت كلمات والدي المشجعة بمثابة كلمة السر .. تيممة علي بابا

التي تفتح أبواب الإلهام المغلقة .. دق الباب وكان الطارق إلهام .. إنه

إلهام الشعر فتحت له الباب على مصراعيه .. وبالفعل قمت لتوي

فكتبت القصيدة .. وفي الغد كان أول من لقيني عند باب المدرسة

أبلة سعاد ولم يفتها أن تسألني :

- ترى كيف الحال هل أتى إلهام الشعر بالأمس ؟

قلت لها وأنا أخفض رأسي في خجل :

- نعم لقد أتى ..

- قالت وهي تضحك :

- أنا التي أرسلته إليك بالأمس .. وضحكت.

صورة على الجدار



ذاكرتي تعذبني تحفظ الذكريات المؤلمة والسعيدة على السواء، كم رجوتها أن تحذف اللحظات القاسية المريرة وترمي بها داخل الجراب وتنساها إلى الأبد، ولكنها تأبى أن تنسى، تفاجئني دائماً بلحظات أتمنى لو ألقيت بها في أغوار البحر كي لا تعود وتطفو على السطح، لكنها تقاوم الموج وتبحر لترسو على مرفأ عقلي وذاكرتي، فنحن نتذكر كليهما ونستعذب مرارة الألم بعد أن انقضى وولي، ونشيد بأنفسنا على اقتحام الصعاب وقهرها، لحظاتنا السعيدة ربما لا تكون بالقدر الذي مرت علينا فيه لحظاتنا التعسة المريرة لكننا نستعذبها ونقول:

هيبه .. أيام ولت .. وكما تختلط القسوة والسعادة في ذاكراتنا، تختلط النكسة بالنصر واللحظات الصعبة بتلك العذبة، أتذكر قصف طائرات العدو لبيوتنا في مدن القناة، وطائرات العدو تملأ السماء كالطيور الجارحة، وأنا وأختي الصغيرة نقف لا نعبأ بالطائرات

تحاول كل منا أن تميز طائرات العدو من طائراتنا، وكل منا راحت تشير.

- هذه طائراتهم.

ولكنني أعود فأهتف:

- لا.. هذه طائراتنا إنها تدور حولها تحاول أن تقتنصها لتقضي عليها.

كم كانت سعادتنا عندما نرديها قتيلة فتهاوى طائراتهم كما يتهاوى الذباب المحترق أمام وهج شديد.

عويل السيدات وصراخهن وخوفهن من نشوب النيران في مساكنهم، الصواريخ تتوالى واحدا تلو الآخر، النساء يحملن أولادهن ويجريين لا يعرفن إلى أين المفر، سيدة تجري مولولة بعد أن اكتشفت أنها تحمل بين أحضانها وسادة بدلا من رضيعها الذي التهمته النيران، علا صوتها وتنفث لهيها ونيران قلبها المستعرة، تمت لو حرقت طائرات العدو الذي حرمها وليدها الوحيد الذي ظلت ترجوه من الدنيا.

تنهمر دموع والدي على خده بغزارة، بعد معرفة خبر الهزيمة كأنها سيول عارمة تغسل العار، تقفز إلي مخيلتي فرحة أمني تلملم حاجياتنا للعودة إلى بلدنا الحبيب بعد أن عشنا سنوات صعبة عن مدينتنا وبيتنا وحديقتنا وجيراننا وشمسنا..

كل شيء يشير أننا لن نعود بذاكرة ممسوحة، لكن تتشكل الذاكرة في سني الغربة وسنوات العشق والهوى وحنين الرجوع، لنعود نتحسس كل شيء بأيدينا.. نتذوق بأفواهنا مذاق ذكريات الطفولة العذبة.. وتلتهم عيوننا كل جمال في الماضي ربما لنرسم صورة المستقبل ونحن نتشبث بحنين إلى الماضي الجميل..

كم كنت أتوق للرجوع إلى منزلنا القديم، لقد لعبنا بين جدرانها وكبرنا تضمنا حوائطه، وشهدت أبوابه علينا في كل يوم نضع علامة كم بلغنا من طول، وكبيرنا يتفاخر ببلوغه حدا كبيرا من الباب، والصغير يتمنى أن يصل لمبلغ الرجال ويطول السقفه، وأين نحن من باب البيت المكين، أحيانا يهاجمني خاطر ماذا لو كسر باب المنزل ولم نستطع تركيب الباب ؟

ذلك الباب الذي يحميننا من غدر الوحوش الضارية خارجه، ويشعرنا بالأمان والسكينة في أحضان الآباء والأمهات وننام على حكايا الجدات وعطف الأجداد، كم كنت أتوق للعودة لأبحث عن عروستي الصغيرة التي تركتها منذ أعوام كثيرة وكم ساءلت نفسي ترى هل كبرت كما كبرت؟ وكيف حالها بعد طول هذه السنوات وهي تعيش بلا طعام أو شراب.

كيف تعيش دون أن تبدل ثيابها طوال هذه الأعوام، وبمجرد عودتي سررت لأنني عرفت الطريق إلى منزلنا فهيئته محفورة في قلبي

جريت نحو الحديقة لأجد حشائشها أكثر مني طولاً، لقد اختفيت وتلاشيت وسط الحشائش والنباتات، صعدت أدراج السلم بسرعة لأبحث عن عروستي التي وقعت مني يوم أن تركنا المنزل تحت قصف طائرات العدو، وجدتها ملقاة في نفس الركن البعيد الذي اعتدت اللعب فيه.. كانت مشوهة بنيران طائرات العدو، فمها مفتوح كأنها تتأوه.. تصرخ، أما الصورة التي أحبتها أُمِّي وتعلقت بها فهي لإحدى الفتيات الجميلات معلقة على الجدار كما هي، باهتة شاحبة زال جماها فترت ضحكتها.. عانت طوال هذه السنوات من الألم والوحدة، أراها بعيني طفلة تضحك ضحكتها المشرقة التي تفر عن أسنان براءة وثغر بسام وبريق عينيها يبعث الأمل في قلب تهدم وشعر بالعجز لكنها اليوم شاخت مثل عروستي وتلك الصورة على الجدار..



بيع البطاطا



الجو بارد ، المطر يهطل بغزارة، استوقفني مشهد هطول المطر من زجاج النافذة، وذلك العصفور الحائر الذي على ما يبدو فقد عشه، ولا يدري ماذا يفعل في هذا البرد القارس، انكمش على حافة النافذة في ركن خفي بعيدا عن المطر.. تقوقع على نفسه كأنه يطرد حبات المطر التي شنت عدوانا علي عشه الحبيب..

رحت أعبث بالسحابات البيضاء التي تكونت من هواء الزفير على زجاج النافذة، قمت بالكتابة عليها بأناملي الصغيرة، رسمت أشكالا وخيالات، رجالا ونساء وأطفالا، لكنني خشيت عليهم هذا الزمهرير، تمنيت لو دثرتهم بالروب الثقيل الذي أرتديه، رسمت زهورا بيضاء كالثلج، تمنيت لو حل لونها الناصع داخلنا وامتلاأت قلوبنا بالدفء لما أحس العصفور المسكين بالبرد الشديد، انتابني احساس بالشوق لما يجري خلف النافذة، فمسحت أطراف أحلامي

وخيالاتي من على زجاج النافذة لأرى ماذا حدث لعصفور الشتاء
المبتل الحزين ..

لمحته أمامي واقفا منكمشا كالعصفور الذي رقد على حافة نافذتي
متدثرا بمعطف ثقيل، يلف رأسه بكوفية من الصوف، ودخان كثيف
يتصاعد من المدخنة في الهواء أشعري بالدفع، سمعت صوته يأتي
ضعيفا خلف زجاج النافذة المغلق.

- بتعريفه بطاطا وبالونة ومروحة هدية ..

رحت أتجول بحرية في المنزل، لم يشغل بالي سوى العلاقة الغريبة
بين البالونة والمروحة والبطاطا، قلت لنفسي ربما يوزع البائع المروحة
حتى -نهوي- بها على البطاطا الساخنة ولا تلسع أيدينا، أما البالونة
فما علاقتها بالبطاطا والمروحة؟ ربما تنفخ البالونة لكثرة نفخات
البائع في البطاطا حتى تبرد، لكن لماذا لم يستخدم هو المروحة بدلا من
نفخ البالونات؟. في النهاية عجزت عن إيجاد علاقة منطقية غير التي
توصلت لها منذ قليل.

لم يعد يشغل بالي سوى أمر واحد أن اشتري من بياع البطاطا
ويمنحني هديته البالونة والمروحة .. نزلت بسرعة غير عابئة بالبرد
والمطر لأحصل على المروحة والبالونة الهدية ومعها البطاطا ولم يفتني
أن أسأل البائع:

- عمو لماذا تعطي البالونة والمروحة هدية على البطاطا؟

نظر إلى الرجل بتعجب ودهشة لكنه أجابني ببساطة قائلاً:

- البطاطا تغذيكي، والمروحة تهويكي، والبالونة تفرحك

وتهنيكي ..

كم كانت سعادتني عندما أحصل على البطاطا والمروحة والبالونة أقصى معنى للسعادة والرضا .. تذكرت أن ابني مثلي يحب البطاطا المشوية بنار الفرن من مدخنة البائع، فاشتريت له لكن لم يكن بتعريفه .. ولم يكن البائع يعطي لا مروحة ولا بالونة هدية فكرت أن اشترى له هذه الأشياء حتى يشعر بما استشعرته من سعادة من قبل، نظرت لي باستخفاف .. ولم يكتم مشاعره وقال لي:

- ألم يكن من الأفضل أن تأتي لي بدراجة أو (بلاي ستيشن) 3

بدلاً من البطاطا؟



النقيضان



نقيضان .. ما إن يجتمعا حتى يفترقا من جديد، تعانقت خيوط
الظلام مع تباشير الصباح كي تودعهما، وكلما تذكر الدهر الطويل
الذي سيمر عليهما وهما مفترقان، ازداد عناقهما في ديمومة لا تتعدى
اللحظة .. هي لحظة من الرفض والتحدي، يستغربان يندهشان
يتساءلان لماذا هما بالذات في هذا الكون العريض اللذان يحتمل
موعد لقائهما نفس موعد فراقهما؟

يا لقسوة القدر يمر عليهما بسرعة مذهلة انفض التلاحم، بدأ
كل منهما ينفصل عن الآخر، تنزوي خيوط الظلام بعيدا وتقرب
تباشير الصباح شيئا فشيئا لتملا بنورها الكون.

كان الوقت متأخرا، فقد أوى الجميع إلي فراشه منذ وقت طويل،
إلا أنا ظللت في فراشي أثقل علي الجانبين يمنة ويسرة، تارة أدرس
رأسي تحت الوسادة لأختزل الكون في سماء هي وسادتي وأرض هي
فراشي الذي أتمرغ عليه .. حتى أعزل نفسي عن حولي، هيهات

أن أستطيع إبعاد هذا الشعور الذي يسيطر على حواسي، وقفت بدلال وخفة واضعة يديها في خصرها بثقة وتحد تنتظر لحظة اللقاء والتلاحم بشوق، بالرغم من أنها اعتادت أن تعطي ولا تأخذ تمح ولا تستأثر مثلها في العطاء والبذل. أحياناً تبدو لي كأحدى الباريسيات وهي تضع على رأسها قبعة مستديرة، وأحياناً هي طباحة سمينه يتدلى كرشها وتستدير بطنها كالقربة، ومع ذلك تجذبك بالحاح شديد لا تستطيع مقاومته، يبدو أنني وقعت فريسة لهذا التناقض الذي يكتنف كل شيء حولي.. فستان بين قلبها وقلبها فقلبها يحمل مذاقا شعبيا لذيذا يميزها عن مثيلاتها، بينا قلبها الذي تتفنن في إبرازه للجميع غير صادق فهو ينم عن طراز أجنبي دخيل عليها اقتحمها واختلط علي مذاقها بين القدرة والعلب المحفوظة حائرة بين جمالها الداخلي وشكلها الخارجي. لكن ما لا تستطيع أنفي أن تخطئه رائحتها التي تفوح منها هي وحدها فتفرد بها عن غيرها معلنة عن نفسها.. لم أستطع أن أقاوم رائحتها الجذابة التي تثير شهيتي وتسيل لعابي خصوصا وأن الجوع راح يمزق أمعائي، أخذت رائحة الموقد الذي يعمل بالكبروسين تغزو أنفي فتصييني باختناق ودوار وغثيان لكن كل هذا يهون مع الرائحة المحببة إلى نفسي، أخيرا لذت بفراشي، نهضت سريعا كأني على موعد لا تخطئه معدتي فقد انتشر نور الصباح، فرشت الشمس أشعتها علي الكون، راحت تزر كش الوجود بشرائط ذهبية لامعة، وجدت أمني تحمل طبق الفول المدمس الساخن ورائحته تفوح بعد أن وضعت عليه

الزيت والليمون والكمون.. دائماً ما يداخلني شعور بأن أُمي هي القدرة أما أنا فكنت المغرقة.. نعم.. أغترف منها ما شئت، فبإمكانني إطعام العالم كله، أتحرك داخل القدرة برحابة واتساع، تقترب حبات الفول في ود لتصعد في راحتي لأشبع الأفواه النهمه، لم تكد تضعه علي الطبلية حتى تمتد يدي إلي رغيف الخبز الساخن.. تسارعت اللقيمات واحدة تلو الأخرى، وقبل أن التقط اللقيمة كانت هناك سبعة أفواه تسارع بالتقاط اللقيمات الأخرى حتى قضت على طبق الفول بأكمله، وعلى شفتي أُمي ابتسامة هادئة بالرغم من أن يدها لم تصب أياً منها. شعرت بالرضا ونزلت إلي عملي وأنا سعيدة قانعة بما قسمه الله لي، شتان نقيضان يجتمعان وما إن يلتقيا حتى يفترقا من جديد، أما اليوم فأفتقد إلي قدرة أُمي التي أصبحت خاوية، بالرغم من امتلائها، اختنقت المغرقة داخل القدرة بما رحبت تباعدت الحبات، لا أستطيع التحرك داخل القدرة برغم الاتساع، لم تعد الأفواه تشبع رغم الكثرة. تمتد أمامي مائدة حافلة بما لذ وطاب، لكنني أفتقد إلي أُمي طبقها اللذيذ الذي كان يشاركني فيه سبعة أفواه ربما لم يكن يصيب بعضنا سوى تلك القضة أو اللقيمة لكننا كنا سعداء راضين.



المرود والمتحلة



منذ طفولتي أراها قطعة أثرية طالما وقفت أمامها، تمتلك
قدا ممشوقا لها عنق طويل يذكرني في انسيابيته بعنق نفرتيتي،
هذا العنق الجميل على جسد كامل الاستدارة يزيد جمالها
ذلك الجذع الذي يشبه الكأس، تقف كأنها ملكة قد توجت
على عرشها وقد ارتدت تاج الملك وازدان بزخارف جميلة
حفرت على أركانها.

هذا هو حالي كلما ذهبت إلى منزل جدي، أجدها تقف بشموخها
المعتاد وأنفتها العالية، طالت وقفتي أمامها أتأملها لم تكن تقف
وحدها في الخوان، أو كما تطلق عليه جدي دولاب الفضية، كانت
جدي تحب هذا الدولاب وكأنه خزانة لميداليات الشرف أو كؤوس
نالتها في المارثونات، وقفت وقد أحاطوها، كانوا جميعا يصغرونها

وقفت تتوسطهم في شموخ كدجاجة ترعى صغارها، تنفش ريشها لتدفتهم وتظلل عليهم كانوا ثلاثة و جدتي ثلاث من البنات.

رأسها يذكرني بذكر الطاووس الجميل، وهو يظهر ريشه علي هيئة نصف استدارة متألقا بألوانه الجميلة، كأنه يضغط علي أحد الأزوار لمفتاح التحكم، فتخرج تلك المروحة السحرية الرائعة وقد تداخلت ألوانها الزاهية في لوحة فنية خرافية، لا تملكها إلا ريشة فنان إنها مكحلة جدتي.

شعرت أنها مرتبطة بهذا المنزل الصغير الدافئ، لم أستطع تخيل المنزل بدونها كما لم أتخيل جدتي يوما دون أن تكتحل فكانت عيناها العسليتان تزداد تألقا فتضفي على المنزل رونقا منها وكأنه ظلها أو إشعاعها.

يتخللها.. يتغلغل بداخلها فينبهما حوار لا ينقطع، فالمرود لا يترك مكحلته وكأنه يخشى عليها يحبها يظلل عليها، التحما معا في عناق أبدي، لم يكن هذا هو حال جدي وجدتي بل كان من الأغرب أن يقتنيا هذا الشيء وهما دائما متنافران.

تتملكني الدهشة من هذين العجوزين لا يستقران على حال أبدا ولا يهدئان، دائما على خلاف كنت دائما أسأل والدتي:

- كيف أنجب جدي وجدتي هذا العدد من الأبناء بالرغم من
عدم توافقهما؟

تضحك أمي ولا تعلق بشيء، وربما سرحت مع هذه الكلمات
كمن يتعجب هو الآخر فربما خطر هذا السؤال على ذهنها مرات
ومرات لكنها خشيت أن تسألها.

راحت التكبيرات تعلو ماآذن المساجد في يوم العيد يتفرق
المصلون في كل مكان كحمامات بيض يفردن أجنحتهن في الفضاء
فيبدو شكلها مهيبا، يستيقظ الجميع على طرقات جدي الحبيب
أسمع صوته هادئا مريحا يهنيء أمي بالعيد يعطيها العידية، تأتي
أمي لتوقظنا حتى نسلم على جدي نسبقها إليه وتسبقنا فرحة العيد،
يدس في يد كل منا عيديته، ورقات جديدة بحواف حادة وأرقام
مسلسلة، لها رائحة تميزها أخشى عليها أتردد كثيرا وأنا أخرجها
من حقيتي حتى أشتري لعب العيد والحلوى، أحببت جدي كثيرا
فملاحه الهادئة الجميلة وعيناه الزرقاوان ووجهه الأبيض المشرب
بالحمرة تنطبع في ذهني وتأبى ألا ترافقه.

زاد عطف جدي وحنانه من رصيده في قلبي، دائما ما كان يرتدي
طاقية من الصوف على رأسه، كثيرا ما داهمني إحساس يقهرني أن

أنزع عن رأس جدي تلك الطاقة الصوف لأراه بدونها، لكنه يرى في ذلك عارا مشينا أن يمشي بدونها. تأتي جدي آخر النهار لتعيد علينا، لكن نادرا ما تجمعهما زيارة واحدة إذا أتى هو مبكرا تنصرف هي متأخرة، وإذا تأخر هو بكرت هي في الحضور، لم أراهما يمشيان معًا وعندما أسأل جدي كانت تقول:

- ياللعيب أمشي مع رجل في الشارع، لم نتعود على ذلك يا بنيتي.

كنا نسمع ذلك ونضحك.

جدي تحجل أن تسير بجانب جدي في الشارع حتى إنهما لو تصادفا وخرجا معا كل منهما في جانب هو في أول الطريق وهي تسير خلفه دائما.

جدي كريم غير متكلف في تصرفاته، تتسم حركاته بالتلقائية والطيبة لا يلقي بالا لما يقوله الناس أو يفعلونه، فعالمه الطبيعة البكر قبل أن تلوثها أيدي الناس.

ذهبنا لنواسي جدي لوفاة أمها، قام جدي كعادته مرحبا يتذكر أن هناك صنف من أصناف الحلوى فيسرع ويأتي به، ثم يذهب لإحضار طعام غيره فيسرع ويأتي به هو الآخر، تزدهم المائدة بما لذ وطاب من صنوف الطعام.

تستشيط جدتنا غضبا لعدم مراعاة الترتيب في تقديم الطعام وتزداد المشاجرة، وما إن تهدأ الأمور حتى يذهب جدي ليحضر لنا زجاجات الكولا التي نحبها لم تسكت جدتي، اتهمته أنه يكره أمها طوال عمره لدرجة إنه راح يوزع على روحها الكولا. كنا نخفي ضحكائنا حتى لا نعاقب من أمي وكان جدي يكره ذلك البروتوكول في تقديم الطعام ويقول لها:

- ماذا سيحدث لو قدمت الحلوى قبل الطعام، أو شربنا زجاجات الكولا قبل طعام الغداء. إنه يحب الطبيعة دون حاجة إلي ترتيب.

في كل مرة نذهب إلي بيت جدي يكون هناك موضوع مختلف للشجار، لكنها مناوشات لذيذة تتخللها دعابات فهو يحب أن يضغط علي أعصابها ليسمع كلامها، يحمر وجه جدتي حتى يصبح لونه في لون قرطها المتدلي من أذنها فلم تكن تغير لون حبات القرط فدائما ما يتدلي منه حبة حمراء في لون حبة الياقوت، وتبدو جدتي كأنها ديك رومي قد نفش ريشه واحمر وجهه، ومع ذلك كانت لا تطيق أن تراه متعبا في السرير، تذهب وتجيء مائة مرة على سريريه لتطمئن أنه لا يحتاج أي شيء لكن لا تصرح له بكلمة حب واحدة فالحب

عندها عيب حتى ولو كانت ستصرح به لزوجها وشريك حياتها وأبوابناها.

مرضت جدتي مرضا عضالا، جلس هو إلى جوارها ولم تنته المناوشات بينهما، ذات صباح كان وحيدا لم يفارق سريره لم يستطع أن يتجول في المنزل وكأن قدميه أبت أن تترك مكانه بعدها، لم يعد يجد من يناوشه، ولم يعد يهتم أن يقدم الحلوى قبل الطعام أو بعده، لم يعد يرغب في أي شيء، غادر سريره، ذهب إليها ربما يتناوشان من جديد لكنهما التحما كالمرود والمكحلة.



البرابرة



لم أنس بعد ذلك اليوم ، عندما كنت في الخامسة من عمري ..
استيقظت عند الفجر علي صراخ ونحيب عرفت فيه صوت أمي ..
كان والدي رحمه الله نهرا فياضا من الحنان والحب ، أما الآن فقد نضب
النهر وتركنا أربع أرامل ، وامتدت أياد الخير لتربت علينا لكن أيادي
الخير ليست كلها حانية فهي أحيانا كالصوف الخشن بقدر ما تحنو
تجرح وتؤلم ..

همس الجميع في أذن أمي .. لماذا تتركين الأبناء في المدارس
دعهم يعملون ويساعدونك وابعدي عنك هذا الحمل الثقيل لكنها
أبت بشدة. أتذكرها وهي تخرج في الصباح الباكر وتعود آخر النهار
منهكة ، وقد نال منها التعب لكنها لا تستسلم أبدا .. عودها صلب
وإرادتها قوية وأبناؤها أعز عليها من نور عينيها . في المساء تنكفي
على ماكينة الخياطة لتحيك بعض ملابس الجيران والمعارف مقابل

مبالغ زهيدة كنت دائما أشعر أنني وحدي.. منزوية بعيدا لدرجة أن الجيران كانوا دائما يلقبونني (بالبرأوية)..

أحاسيس كثيرة لم أكن أفهمها في تلك السن المبكرة، فهمتها بعد أن كبرت وأنجبت ابنتي ياسمين، شعرت بها وأنا صغيرة حين كانت أمي تأتي بفستان لتلبسني إياه وقد جادت به إحدى الجارات أو المعارف أرفضه في البداية، لكن مع إصرار أمي ارتديه فأشعر أنني أرتدي ثوبا من الشوك.. أحس بوخزه في أنحاء جسدي.

لم أشعر يوما بفرحة الفستان الجديد أو الحذاء الجديد الذي يتحدث عنه كل الأطفال.. أحيانا كثيرة أنزوي في ركن من أركان البيت أو خارجه أبكي بكاء شديدا.. تتعجب أمي من بكائي المستمر دون سبب معروف، ومع ذلك لم أطمع فيما يمتلكه الآخرون..

تقدم لي رجل طيب رشحته إحدى الجارات لأمي بعد أن أنهيت دراستي الجامعية من باب الشفقة وكأنها تجود علي بفستان جديد وهي تعدد مناقبه:

- جدع طيب وابن حلال وكريم .

رفضت في البداية لأنني كنت أريد أن أبحث عن وظيفة، لكن مع إصرار أمي وافقت وتزوجته.. كان زوجي يغدق بسخاء على

كل من حوله ، بالرغم من أنه محدود الإمكانيات ، كنت في البداية سعيدة لأنني أشعر بحبه لكل الناس وبحب الناس له ، وعندما أنجبنا طفلتنا ياسمين توقعت أن كرمه وجوده سيوجهان إلى ياسمين . ولكن لم يحدث ، كل ما يصل إليه كان يتسرب من بين يديه للآخرين .. تحدثت إليه بالحسنى مرات ومرات حتى قلت له :

- محمود .. ياسمين في حاجة إلى فستان جديد .

آخر النهار عاد من الخارج بكيس يطل منه فستان . فرحت لاستجابته السريعة وحبه لابنته ولكن عندما رأيت الفستان عرفت فيه فستان ابنة أخيه بكت الصغيرة فقد عرفته هي أيضا ، رأته مرات عديدة على ابنة عمها ورفضت أن ترتديه في البداية لكن مع إصرار والدها ارتدته .

رأيتها بعيني بعد أن خرج والدها تنزوي في ركن من أركان البيت وتبكي بحرقة .. حينها قفزت الصورة القديمة إلى مخيلتي فاستشطت غضبا ورحت أعنفه بشدة .

في اليوم التالي أصر محمود أن يأخذنا لنزهة تعويضا عما حدث بالأمس ، وفرحت واعتقدت أنه تأثر بابنته وانفعل بما قلته له .. ذهبنا إلى منزل أخته الكبرى وجدت ابنتها وابنها وهما في أبهى حلة .. وكانوا في عجلة من أمرهما فوجئت أمهما تقول :

- هيا يا محمود دع ياسمين تذهب مع الأولاد إلى النادي فلديهم تدريب هناك.

لم أعلق بشيء ولكنها عقت :

- اذهبي معها يا ياسمين . بابا هو الذي أصر أن يدفع اشتراك النادي ..

وجدت نفسي أقف على الفور، وقد اندفعت الدماء إلى رأسي وسرعان ما هبطت أدراج السلم، وقد رمقتني أخته بنظرة المستفسر وانطلقت وأنا أجز ابنتي خلفي وهي تبكي تريد أن تذهب إلى النادي .

عندما وصلنا المنزل قامت الدنيا ولم تقعد حاول أن يثنيني عما عقدت النية عليه. وعدني ألا يكون في حياته سوى بيته وابنته الوحيدة وزوجته.

جاء أول الشهر الذي ننتظره بفارغ الصبر لنقوم بتسديد احتياجاتنا، وكانت هناك مناسبة ننتظرها ونعد لها ألف حساب وهي دخول ابنتنا المدرسة .. أصر أن يدخلها احدي المدارس الحكومية . اعتقدت في البداية أن سبب إصراره على تلك المدرسة هو قربها من المنزل فوافقت .

دق جرس التليفون ليأتيني صوت زوجة أخيه تسألني :

- هل ستذهب ياسمين مع أولادها المدرسة الخاصة ؟
أجبتها ..

- لا .. فقد قدم لها والدها في مدرسة بجوار المنزل .
فوجئت بها تقول :

- أما كان ينبغي أن يقدم لها محمود في نفس المدرسة الخاصة التي
قدم لأولادي فيها .

لم أرد ، فلقد عقدت الحسرة لساني خاصة بعد أن أردفت :
- اشكري لي محمود كثيرا ، فقد أصر أن يدفع المصروفات رغم
أن زوجي بعث إلي بها ..

وضعت سماعة التليفون .. ولم أدر ماذا أفعل ... النار التي
بداخلي تكفي لأن تحرق الدنيا بأسرها . فلأول مرة في حياتي أرى
كرما ممجوجا عكر صفو حياتي .

كنت كالأسد الجريح الهائج .. الذي يريد أن ينقض علي فريسته
ليمزقها إربا .

دخل بعد منتصف الليل ليجدني واقفة عند الباب فانزعج ..
وقبل أن ينطق ببنت شفة قلت له :

- محمود .. طلقني .

لم أنطق بسواهما.. ولم أسمع منه أي شيء.. حاول الجميع أن يشنوني عن عزمي لكنني كنت قد حزمت أمري وأخذت قرارا لا رجعة فيه أبدا..

لم أستطع أن أخو من ذاكرتي صورة ابنتي، وهي تجلس منزوية تبكي حتى لا ترتدي الفستان القديم، ويوم بكائها لتذهب إلى النادي مع أولاد عمها.. لا أحد يشعر بها سواي في هذا العالم ولن أجعلها صورة مني.. نزلت أبحث عن عمل.. عملت مدرسة في إحدى المدارس الخاصة وسرعان ما أدخلت ابنتي معي في نفس المدرسة.. مع أول راتب أخذت ابنتي نزلت أطوف بها كل المحال التجارية الفخمة لأشتري لها كل ما تمنيته أنا لنفسي وغمرتني الفرحة..

أحببت العالم.. نسيت كل أحزاني وأنا أري ابنتي لأول مرة وسط الأطفال تكاد تطير فرحا بفستانها وحذائها الجديدين.. اصططحبتها ومشينا معاً مرفوعي الرأس.. ساعتها فقط مددت يدي لأمسح دموعين انحدرتا على خدي وانفرج فمي عن ابتسامة كبيرة قدر اتساع العالم من حولي..



الربلا هوب



اصطفت فتيات الحي كعادتهن كل يوم ليمارسن ألعابهن كن في غاية السعادة وهن يلعبن معاً رغم خلافتهن المتكررة بسبب اللعب.. «الحجلة» هي أحب لعبة يفضلنها جميعا ولا أعرف سر تسمية هذه اللعبة باسم الأولى ؟ .. ربما لأن البنت تقفز على قدم واحدة طوال اللعبة بعد أن يرسمن على الأرض ثمانية مربعات بالطباشير يطلقن عليها البيوت ويقفزن من مربع إلى آخر أو من بيت إلى بيت ، محاولين زحزحة حجر صغير بأقدامهن أطول مسافة ممكنة . ولا أدري السر في تسمية هذه المربعات بالبيوت ؟ لعلها بيت المستقبل التي تحلم به كل فتاة من خطوط وهمية على الأرض إلى أعمدة وجدران تناطح السحاب وتتناطح معها أحلامهن الصغيرة هكذا كان البنات في الحارة يمارسن ما يحلو لهن من ألعاب إلا أنا فلم أكن أستطيع ، فقد بدأت معالم الأنوثة المبكرة تزحف على جسدي كأن بركانا تفجر

فجأة بداخلي وكنت أحاول إخفاء هذه المعالم بكل وسيلة، كاللص الذي يخفي في جيوبه السرية بمسروقات ثمينة وكانت أول من تفضح محاولاتي هذه أمي ، فتقذفني بنظراتها الحادة كي أدخل إلى البيت ، وأتخذ مكاني الأثير خلف النافذة أراقبهن في صمت بدموع صامتة أحسد طفولتهن التي منحتهن الحرية وأنعي طفولتي التي ولت مبكرة ..

اللهم إلا لعبة واحدة وجدت نفسي فيها لأنها لعبة فردية كنت أنا لاعبتها الأولى والأخيرة وأنا أيضا الحكم والمشجعين . لأنني أمارسها في حجرتي بعيدا عن الأعين .. الهيلاهوب .. قرص بداخل قدمي يتدلى منه حبل ينتهي بكوب ، وعندما أدور على قدم واحدة يدور معي الكوب راسما على الأرض دائرة وهمية .. هذا كل ما في الأمر فهي لعبة منعزلة مثلي ورضيت بها ووجدت فيها ما يعوضني عن الحجلة واللعب مع البنات في الشارع.

كبرت وكبرت معي طفولتي، التي مازالت محبوسة خلف أنوثتي المبكرة ولم تخرج في أوانها فحكم علي بالانطواء والانعزال رغما عني . ومع ذلك أحببت هشام زميلي في الجامعة كنت أرى فيه تلك الحياة التي حرمت منها، الانطلاق والحيوية وخفة ظله وشخصيته الجذابة التي تلفت انتباه كل من يراه. تمت الخطوبة سريعا لأكتشف أن هشام ليس لي وحدي فحتى أخطب إليه ينبغي علي أن أخطب إلى

الشلة كلها، أما أنا فلم أكن أمثل بالنسبة له شيئاً على الإطلاق ، وكما تمت الخطبة سريعاً فسخت سريعاً. وعدت إلى الهيلاهوب أشد من ذي قبل أقضي معظم وقتي في غرفتي عاقدة الطوق في قدمي وأقفز على قدم واحدة ليدور الطوق صانعا على الأرض دائرة لا أستطيع الخروج منها كدوامات البحر اللامتناهية.

وجدت أمامي كمال.. ابن خالتي.. شاب جاد ملتزم متفوق في دراسته، صامت طول الوقت لا يشعر به أحد. ما إن عرض علي الخطبة حتى وافقت على الفور. الأيام تمر معه بطيئة مملة ضقت ذرعاً به، طول الوقت يكتب أشعاراً، أجل كلها عني ولكنه لا يجرؤ أن يقف ليقروها على أحد. فقد كان خجولاً بدرجة كبيرة، ويوم الخطوبة وقع الخاتم من يده وهو يلبسني إياه. لا يمكن أن يكون فتى لأحلام أي فتاة، إنه يذكرني بالهيلاهوب الذي أختلي به في غرفتي حتى لا يراني أحد. كرهت الهيلاهوب.. وصممت أن أغير كمال.. سأجعل منه الفارس الذي ظللت طيلة عمري أحلم به، لعبتي التي تمنيت أن ألعب بها أمام الناس دون خجل.

قمت بنشر قصيدة له في إحدى الجرائد، دعوته إلى إحدى الندوات، كانت الطامة الكبرى عندما جاء دوره ليلقي قصيدة على الحاضرين، أيقنت أنه ميت لا محالة. وجهه أصفر شاحب، أنفاسه لاهثة، تتصارع دقائق قلبه، عرق كثيف يتصبب فوق وجهه، ركبتاه

تصطكان ببعضهما، أدركت خطأي، ما كان ينبغي أن أزج به في هذا الموقف، لكن عندما انتهى من قصيدته فوجئت بموجة من التصفيق من الحاضرين اعتلت ابتسامة الثقة على وجهه الخجول وتشجع بإلقاء قصيدة ثانية ثم الثالثة.

بعد أيام فوجئت بكمال يدعوني إلى ندوة كان هو منظمها ولأول مرة أجده يتحدث بهذه الثقة واللباقة . منذ ذلك الحين تركت الهيلاهوب.



العقرب



نظرات الفزع تنتفض من عينيها، صرخات تخرج مخنوقة من
بين جبال الخوف تلتف حول عنقها.. عقرب.. عقرب، لم أستطع
الحراك، جمدت مكاني من هول المفاجأة.. خلعت «نجاح» نعلها
هوت به على صدري، أطاحت به بعيدا أسرع تسحقه تحت
قدميها وهي تردد:

- الحمد لله.

جلسنا لنلتقط أنفاسنا ونستعيد قوانا التي خارت أمام هذا الكائن
الممدد بلا حراك وقد تبيست أطرافه بفعل حذاء نجاح، نظرت لها
بطرف عيني وأنا أهمس لها ممتنة

- أشكرك.. لقد أنقذت حياتي.

- الشكر لله.

كان اليوم الأول لي بكلية البنات بتلك المدينة المتربعة على قمم
جبال عسير جنوب السعودية، ذات الطبيعة المتقلبة، حيث تتناوب
عليها في الساعة الواحدة فصول السنة الأربعة.

رحت أقدم لهن نفسي:

- فاطمة الحريري زميلتكم الجديدة بقسم الاجتماع.

وراحت كل منهن تقدم لي نفسها:

- حنان الخولي أستاذة الأنثروبولوجي، عزيزة حسين أستاذة
الفولكلور، نجاح شعلان أستاذة أصول التربية.

الوحيدة التي تعلقت بها «نجاح»، فقد أسرّني بموقفها معي
وإنقاذها لحياتي. كنت أرى فيها مصرية صميمة من صعيد مصر، لها
قامة معتدلة سامقة كجدوع النخل. سمراء بلون النيل عذبة مثله،
قلبها يسع العالم بأسره، تتميز بخفة ظل غير عادية.

ذات يوم جاءت إلى الكلية شاحبة الوجه، غاضبة العينين،
دخلت حجرتها وأغلقتها عليها أسرعت إليها، وما إن فتحت الباب
حتى فوجئت بها تنتحب، رحت أسألها:

- هل تشاجر معك محمد زوجك؟

هزت رأسها نفيا، رحت أسأل من جديد:

- هل حدث شيء في الأسرة؟

حركت رأسها يمنة ويسرة دون أن تتفوه بحرف واحد.

شعرت أنها لا تريد أن تبوح بمكنون نفسها، ولم أشأ أن أتطفل عليها أكثر من ذلك أيقنت أنها تعاني من شيء ما، تمر الأيام وكأنها تقتات عليها، فتسمن الأيام وتذبل هي، وكأن الأيام تأخذ من نضارتها، فخبأ بريق عينيها، وذبل عودها، وسكنت في عينيها نظرة شاردة لم أجد لها تفسيراً ولا معنى.

كانت نجاح آخر دكتورة التحقت بالكلية في غربتنا النائية، لكنّها سرعان ما كسبت ثقة الجميع بجديتها.. سرعان ما انتشرت الإشاعات في كل مكان، راحت العقول تخمن والألسنة تلوّكها فها هي عزيزة تقول:

- هل عرفتم من ستكون رئيسة القسم الجديدة إنها نجاح، بالرغم أنه لم يمض عليها هنا أكثر من ثلاثة أشهر.

أما خديجة فراحت تنعي حالها وتقول:

- لماذا تكون الزيادة من حقها، وأنا خدمت القسم والكلية سنوات طويلة.

مصمصة هدى شفيتها قائلة:

- البركة في الهدايا القيمة والعزائم التي تقدمها إلى رؤسائها لتكسب ودهم.

بالفعل أصبحت نجاح هي رئيسة القسم، ومع ذلك لم يتغير حالها نفس الشحوب والنحول والنظرة الشاردة، وقبل انقضاء العام سرى خبر بأن نجاح صارت عميدة الكلية، وبالرغم من الترقية الكبيرة فلم يبد على وجهها أية معالم للفرح أو السعادة، ولم تكف الزميلات عن الغمز واللمز والنميمة إلا أنا فكنت أشعر أن حملها أصبح ثقيلاً لكنني لا أعرف طبيعة هذا الحمل هل من عبء العمل المضني فهي تقضي النهار طوله في العمل ولا تعود إلى البيت إلا قبيل المساء،

ذات يوم فوجئنا بها :

- سوف أخبر كن بشيء لن تصدقته.

نظرت كل منا للأخرى وكأنها عرفت ما ستقول، ظن الجميع أنها ستحصل على منصب آخر أكثر علواً، وأنها تحاول تبرير قبولها، وأنها تعتذر لنا لأن هناك كثيرات أحق منها بالمنصب لخبرتهن.

ما إن همت بتحريك شفاهها، حتى انفجرت في البكاء دون أن تقول شيئاً. زادت حيرتنا حاولنا بكل السبل أن نعرف ماذا يعترها لكن دون جدوى. غابت عنا أياما كثيرة، عرفنا بعد ذلك أنها ترقد بالمستشفى، تعاني من مرض خبيث تمكن من عظامها، مرت أسابيع كثيرة وهي ترقد بالمستشفى، استردت بعض عافيتها لتخرج إلى البيت، راقدة في الفراش دون حراك.

ذهبنا لزيارتها.. لنجد وجهها أصفر ذابل، كأن الحياة استردت كل ما منحتها إياها من نضارة، استحال الشباب في أيام لكهف مظلم، وشبح مخيف، تحولت ققامتها الطويلة لانحناءة عجوز جاوزت السبعين، آهات وتوجعات مميتة، إذا أرادت أن تقول شيئاً تكتفي بتحريك شفيتها لتقول بضع كلمات مبتورة لترهف سمعك لتبين بالكاد ما يمكن أن تقوله.

نظرت إلينا نظرة يملؤها الحزن كأنها تطل علينا من عالم آخر، وبكلمات مبتورة راحت تقول:

- أنتن لا تعرفن أهمية الصحة والعافية، لا شيء يساويها على الإطلاق.

عند الباب وقفت نظرتان حزيتان لعينين دامعتين لا تعي من أمرهما شيئاً، ولداها الصغيران، كانا ينظران إليها في إشفاق عاجز محير، بينما تحيط بها نظرات زوج يرى شريكة حياته وهي تبتعد.. تنزوي.. كأنها تستل من يده، تبتعد المسافات وعلى شفيتها ابتسامة باهتة ساخرة، تمت لو أن هذه النظرات حبال قوية، مجدولة بالحب، لتلتف حولها وتجذبها إليه، تمنحها القوة والعافية لتضم النبتتين الصغيرتين..

راح العقرب يحكم لدغته هذه المرة، كم تمنيت في تلك اللحظة أن أرد جميلها وأقضي على عقربها كما قضت على عقربي، لكن شتان بين

العقربين همس الطبيب في أذن زوجها بعد أن أتم الكشف الدوري عليها:

- من الأفضل أن ترحل بها إلى مصر.

كانت كلماته يائسة مبتورة وكأنه قاض لم يجد في أوراقه غير حكم الإعدام بلا نقض أو إبرام.

عاد الزوج وحيدا كسيرا يللم حاجياتها، استعدادا للرحيل، وقبل أن يغلق آخر حقيبة انتبه على رنين الهاتف خافتا متقطعا، امتدت يده إلى الساعة ببطء، هاجس حدثه بما يحمله الهاتف تراجعت يده كأن مسا أصابه ترك الحقيبة من يده انطلق هابطا أدراج السلم ثم إلى الشارع، وكان العقرب لدغه كما لدغها.



الانسلاخ



أطلت برأسها من مكننها الأثير .. تلفتت يمنة ويسرة .. ملأت
صدرها بعقب الحياة الذي حرمت منه شهوراً طويلة وهي حبيسة في
باطن الأرض .. تمطت بجسدها الانسيابي .. قفزت بمهارة فوق
سطح الأرض كأنها لاعبة سيرك محترفة وراحت تزحف برشاقة ..
تمنت لو طارت مقلدة الفراشات والطيور التي تحلق حولها ..
تمنت لو غردت مثلما تغرد البلابل .. تمنت لو مشيت علي قدمين أو
أربع مثلما تمشي الدواب .. تمنت لو صرخت بأعلى صوتها لتعبر عما
يجيش بداخلها من سعادة .. ما أجمل الحرية .. ما أبهج الحياة .. ولكن
هيهات .. هيهات ..

فجأة أحست بشيء يسري داخلها لم تستطع التعبير عنه ..
بالرغم من أن الحياة قد منحتها هذا الفيض من الحرية فإنها مازالت
سجينة في هذا العالم الرحب المترامي الأطراف ، وأن مكانها الأثير في

باطن الأرض كان أرحب بكثير .. راحت تجري هنا وهناك .. تقفز
تتمطى تتلوى تشنى دون فائدة .. تنفست بصعوبة .. شيء يجثم علي
صدرها .. أهدابها تتحرك بصعوبة .. حاولت أن تتملص من ذلك
الشعور الذي اجتاحتها فجأة دون مبرر فلم تجد وسيلة للتخلص منه
.. هل هي النهاية ... ؟ أم هي بداية جديدة ... ؟

تمنت لو بكت .. لو صرخت .. لو نادت بأعلى صوتها ..
أنقذوني مما أنا فيه أخرجوني من هذا السجن .. ارحموني من هذا
العذاب .. لكنها الحياة .. أبت إلا أن تظل خرساء . لا تستطيع أن
تبوح بما في داخلها ..

فجأة .. تمزق شيء بداخلها .. لا لم يكن بداخلها .. بل حولها ..
انه ذلك الغشاء السميك الذي يلف جسدها .. أطلت برأسها
لتداعبها نسمات الحياة ، عادت إليها أنفاسها ، بدأ قلبها ينبض من
جديد ، عاد الأمل يراودها .

سرعان ما تخلصت من هذا الإطار الذي يحتويها ويعوق
حركتها ، أخذ ينحسر عنها شيئاً .. فشيئاً .. تلفتت يمنة ويسرة ..
قفزت في مهارة .. عادت ترقص رقصة الحياة مخلفة العدم وراءها
ثاويًا في جلدها القديم ، منحتها الحياة شعورا جديدا مع هذا الثوب
الجديد .. أخذت تتلوى وتقفز في الهواء وتلف حول نفسها في
استدارة كاملة كأنها راقصة باليه متمرسه .

انتبهت فجأة علي صوت يصرخ في أذني .. ويد تدفعني بعيدا.

_ احذري .. العقرب .. العقرب ..

جمدت في مكاني .. بينما راحت الأقدام تدوس ذلك العقرب
الذي كان يقصدي . ودمعت عيني .. تلفت حولي متأملة هذا المكان
الذي تركت بلدي ووطني من أجله .. جبال شاهقة تمتد إلى عنان
السماء تحيط بي من كل جانب رمال صفراء صفرة الموت .. سماء
ملبدة بالغيوم .. إلا إذا تسللت أشعة الشمس خفية في أحد الأيام.

شعرت بالاختناق .. تذكرت يوم تركت وطني مساء دون أن
يأتي أحد لتوديعي وكأنني ورقة شجر جافة ذابلة لفظتها شجرتها
وقت الخريف .. يومها شعرت أنني أنسلخ عن جلدي ، تمنيت لو
استطعت الخروج ، وحسدت هذا الكائن الذي يستطيع أن يغير ثوبه
كلما ضاق عليه .. ولكن هيهات .. هيهات .

رحت أحلم باليوم الذي أجد فيه نفسي عندما أعود .. ولكن
ظل هناك شيء ما يحثم علي صدري ..

♣♣

المقعد الخالي



محفورة ملامحه في قلبي وعيني ، مطبوع طيفه في وجداني .. وجه
أسمر في لون سنابل القمح اكتسى بحمرة تشربها من أشعة شمس
ذهبية ، عينان عسلتان صافيتان .. لم يعتد الشكوى ، وكيف يشكو
وهو يرى حبات عرقه تتساقط على بذور غرستها يده فتمت وربت
و أثمرت زهورا يانعة طالما تمنّاها، تفيض روحه بالخير للجميع
فيمنحنا الحياة ولولاه ما كان لنا وجود ..

كم استشعرت دفأه في الليالي الباردة كأني قطعة تلوذ بفراء أمها
هربا من زمهرير الشتاء ، كم استوحشت المكان عندما يكون في سفر
وأقضي الأيام وحيدة تتسلمني أمراض غريبة يحار فيها الأطباء تزول
سريعا عندما يعود .. فأرمني بنفسي بين يديه وأمرغ رأسي الصغير في
صدره الرحب فأجد فيه الأمان الذي فقدته وترتد إلي روحي التي

زايلتني ، أرى الدنيا كلها بساطا أخضر مترامي الأطراف وكأن
الفقر والجذب رحلا بلا عودة ..

نقشت السنون في مخيلتي كل لمحة من لمحاته وكل قسمة من
قسماته .. الهامة المرتفعة ، الكبرياء المعهود ، ابتسامة وليد تتهادى على
شفاه لم تكن تعرف الحزن ، يدان تقبضان بقوة لا تعرف الكلل ورقة
لا تعرف اللين على مقبض مقعده الأثري الذي توارثه جيلا بعد
جيل .. يزيد من فخامته ذلك الإطار الذهبي المحلى بفصوص من
الأحجار الكريمة المطعمة بقشور من الصدف في تعشيقات متداخلة
وانسجام متناغم حتى صارت كيانا واحدا ..

هكذا كان أبي وهكذا كنا .. مازالت رأسه تحتل مكانها في تجويف
مقعده الأثري ذلك المقعد الذي شاهد مولدنا جميعا .. جلس فوقه في
لحظات عصبية ينتظر أن تخرج صيحة بعد أخرى إلى الحياة ..

ما زلت أذكر كم طوقنا بذراعيه القويتين ونحن صغار كالدمى
فوق قدميه صانعا من فخذه حاشية ومن يديه وسائد لدنه .. كم
أمطرنا بقبلاته الدافئة الحنونة وهو يؤرجحنا على مقعده لدى سماعه
نبأ نجاحنا .. ولما كبرنا هرعنا إليه يحتويينا حياء العذارى ونخفي
وجوهنا في مسنده حينما علمنا بمقدم عريس .

تساقط الورقات وتزاحم الذكريات لتملأ المقعد الذي لم

يل بعد ، واختلطت دموع الفرح بنسيج الحزن مع تعشيقات المقعد
فصارت حياتنا واحدة ..

أفقت من غفوتي على صوت أجش ، ووجه نحيل ، ويدين
تحاولان أن تنأى بي بعيدا :

_ من فضلك يا هانم .. المقعد ..

وانتبهت على أجراس المزاد العلني معلنة بدء بيع محتويات
البيت الذي خلا من صاحبه ، ولم أشعر بيدي وهما تقبضان على
مقبض المقعد وكأنهما ماتتا عليه ، وبرأسي تغوص في تجويف مسنده
لتملأه حتى صارت جزءا منه ، وبقدمي تتشبثان بأقدام المقعد
فصارت وهي سواء ...

شعرت بصوت يخرج من أعماقي .. لم يكن صوتي أنا فحسب، بل
صوت آخر اتحد مع صوتي فصار جهوريا قويا .. راح يصرخ في زفرة
محمومة ممزوجة بالألم والرفض والتحدي:

- لا .. لا

✽

إلا جدتي



« لم تكن جدتي ككل الجدات ».. الصورة العالقة بمخيلتي عن الجدة أنها أم رؤوم تغدق بسخاء من ينبوع حنانها الفياض على كل من حولها من الأبناء والأحفاد فتشملهم بعطفها وحنانها.. إلا جدتي لأبي، فهي جدة من نوع خاص.. بالرغم من أنها أشرفت على الثمانين فما زالت تعتني بنفسها بشكل زائد، وتمسك بأهداب الدنيا بكل قوة كأنها تأبى ألا تتركها وفي كأسها قطرة واحدة..

منذ وعينا على الدنيا عرفنا من خلالها تلك الأشياء التي كانت تنهرنا عليها جدتي لإحضارها في التو واللحظة.. قلم الحواجب الذي ترسم به حاجبيها، الملقاط الذي تزججهما به، الكحل الذي تكحل به عينيها فيزيدهما قسوة على قسوتها، الحناء التي حولت رأسها الأشيب إلى هالة متوهجة من النار، وأم إسماعيل صديقتها العجوز التي كانت تأتيها من وقت لآخر لعمل المساج لها ومدّها

بالوصفات الشعبية التي لا تخيب رجاء ، والتي تجدد بها شبابها الذي
انصرم وولي قبل الأوان «على حد قولها» وكثيرا ما تلقي بتبعة الزمن
علينا نحن الذين جئنا إلى الدنيا فكنا والزمن عليها..

هكذا كانت جدتي «بدر» قاسية القلب كالحجر الصوان ، تعيش
لنفسها فقط مع الأيام الخوالي التي ولت وتجتز أفراس الزمن البعيد ..
تقوم الدنيا ولا تقعد إذا لمحت في وجهها الأبيض المستدير انحرافا
أو تغضنا ، وتصيب جام غضبها على الزمن وعلينا وتنعي أمها
وأباها اللذين رحلا منذ نصف قرن أو يزيد وتركاها فريسة للزمن
الغادر ..

لا أنسى ذلك اليوم الذي جاءها فيه نبأ وفاة أحد أبنائها ولفرط
دهشتي وجدتها تلملم حاجياتها وتنهرنا للبحث معها عن الطرحة
السوداء والعباءة المطرزة والمنديل الذي تخرج به في مثل هذه
المناسبات والجورب الأسود والحذاء ولا تنسى بالطبع حق النقوش
الذي لم يكن يفارقها ليل نهار ..

سامحيني يا جدتي كنت أتمنى أن تكون الصورة التي في مخيلتي
عنك غير تلك .. مازالت أصابعك الخشنة المخضبة بالحناء مغروزة
في جسدي ، فلا أنسى قرصتك التي تخرج بالدم وتترك مكانها
علامات زرقاء مستديرة في أجسامنا .. حتى حكاياتك التي كنت
ترويها لنا عنوة لكي تنعسينا لم تكن تخلو من قسوة ورعب ، فكنت

أسمع من صديقاتي عن الحكايات التي ترونها لهن جداتهن عن الشاطر حسن وسندريللا .. والأقزام السبعة ..

أما في سرير جدتي الحديدي ذي الأعمدة الأربعة بالناموسية البيضاء عرفت فيه العفاريات والأشباح والقطعة المخاوية التي يأتي إليها صاحبها كل يوم وهو معمم بأمعائها .. ويداه مخضبتان بالدماء ..

تزوجت جدتي ست مرات آخرها شاب يصغرها بأربعين عاما استولى على كل ما حصده في سني حياتها وهرب بعد أن باع بيتها .. تنصل جميع أبنائها لها ، فمن ذا الذي يستطيع أن يتحمل تلك المرأة المتصايبية المتسلطة التي لم ترضعهم غير القسوة والجفاء .. إلا أبي فقد أصر أبي أن تبقى عنده معززة مكرومة فأفرد لها غرفة خاصة في بيته المتواضع وبدلا من أن تشمله بحنانها وعطفها زادت قسوتها نحوه وتحركت مشاعرها نحو أبنائها وأحفادها الآخرين الذين تنصلوا لها .. فزادت شكوتها نحونا وتبرمها منا وقسوتها علينا خاصة على أمي ، لكن أبي كان دائما يمتص غضبنا ويذكرنا بأنها أمه وجدتنا .. فاعتدنا على قسوتها مع شدتها من أجل أبي ..

في أحد الأعياد أرادت أن تمثل جدتي دور الجدة فنادت علينا جميعا في الصباح وفوجئنا بها تدس في يد كل منا عيديه .. بضعة قروش قليلة .. لم تكن عادتها .. بعد قليل نادى أخي ليشتري لها

حق نشوق .. فتلكاً الصغير بحجة أنه يلعب مع أقرانه .. لدهشتنا
وجدناها تطالبه بالعيدية.

كانت صدمة لنا جميعاً قبل أن تكون للصغير ، وعقدنا نحن
الصغار اجتماعاً مغلقاً .. اجتمعنا على شيء واحد ربما لا نستطيع
الآن أن نجتمع ونحن كبار .. فقد رد كل منا عيدياته إليها وتركنا
لها الحجرة وانصرفنا .. لقد ثرنا جميعاً على شيء بداخلنا لم نكن
نعرف معناه حينئذ .. عرفناه عندما كبرنا .. إنه الكرامة .. حتى مع
جدتي ..



ساعة جدي



ساعة جدي .. قديمة تدق دقات منتظمة .. لا تقدم ولا تؤخر ..
نضبط عليها ساعات المنزل بأسره، الجميع يستيقظ عليها، أبي لا
يذهب إلى العمل إلا على دقاتها فلها وقع جميل في أذني، اعتدت على
سماع دقاتها في كل وقت، في الصباح لا أذهب إلى المدرسة إلا بعد أن
أسمع تلك الدقات.

في الظهيرة لا نتناول الطعام إلا مع دقاتها الثلاث، في العاشرة
تماما موعد تناول العشاء ..

موعدي مع الأحلام السعيدة فأمي دائما تقول لنا من يتأخر عن
ذلك الموعد تهجره الملائكة، وليس له حظ في الأحلام السعيدة ولا
يصير كبيرا وعفيا ..

كانت ساعة جدي هي بوابتي إلى الأحلام السعيدة .. ساعة ..
ذات طابع خاص .. تختلف عن ساعة والدي، وساعة أُمي وساعتي،
طراز من الساعات لم أره قط في حياتي، فطريقة ارتدائها لم أرها إلا

في الأفلام القديمة، تعلق الساعة بسلسلة ضخمة يطلق عليها والدي «كاتينة»، في سترة الجيب الداخلي للجاكيت بحيث تتدلى السلسلة من الخارج.

ذات يوم استيقظت في فزع فلقد تأخرت عن موعد المدرسة، لم تدق ساعة جدي لم يذهب والدي إلى عمله، كذلك أمي وإخوتي، توقفت حركة العمل في منزلنا فساعة جدي قد تعطلت.. لم نتناول طعامنا في الموعد.. لم نلتق على المنضدة التي تجمعنا هذا بضحكة وذاك بنكتة، لم أدخل من بوابة أحلامي الجميلة، بل هاجمتني الكوابيس، شعرت أن الحياة قد توقفت، أسرع والدي لإصلاحها عاد كل شيء إلى مكانه انضبط منزلنا من جديد..

كنت أتعجب لتلك الساعة التي لا ترتدى في اليد، بل يستخرجها والدي من علبتها، يقلبها في يده ينظر إليها بإمعان، لم أكن أفهم في البداية ما يفعله والدي، ربما يبحث عن شيء وسط هذه الأوراق والمقتنيات القديمة، عندما كنت أسأله كان يقول لي:

- إني أشم فيها رائحة جدك.

لم أكن أفهم ماذا يقصد، وكنت بدوري أسأله، هل يمكن أن تحتفظ الساعة برائحة جدي طوال هذه السنوات؟

أنشم ساعة جدي لعلّي أظفر بهذه الرائحة التي يعشقها والدي

بتلك الساعة القديمة أو شيء من متعلقات جدي .. حينها كان والدي يربت علي كتفي ويضحك ..

كبرت وصرت أستمع باستخراج ساعة جدي، ومقتنيات والدي، صرت أشم فيها رائحة الماضي الذي لن يعود ، أتذكر تلك اللحظات التي عشناها معا ، ضحكنا كما لم نضحك ، لعبنا حول أبي وأمي نشعر بالأمان لا نخشى شيئا .. نفكر في اللحظة التي نعيشها الآن ..

ارتبطت دقائق الساعة في رأسي بساعة جدي، ظلت تعمل لفترة طويلة، دون أن يمتد إليها يد العبث، وجددني أفتح العلبة أقلب مقتنياتها في يدي، أستخرج الساعة من مكمناها الأثير، أضبطها وأقوم بتزييتها حتى تعود لتعمل مرة أخرى، اطمئن إلي أن كل شيء يعمل بانتظام، لكنني انشغلت عنها نسيتها كما نسيت معها أشياء كثيرة، عندما تذكرتها كانت لا تعمل فكرت أن أعيد إليها الحياة مرة أخرى.

انضبطت الساعة، راح كل شيء يعمل بانتظام ، بريقها الأخاذ دقائقها المنتظمة .. شعرت بقوة تسري في جسدي، قوة نسيتها طيلة سنوات طويلة لكنني اليوم عدت قادرة على الاختيار واتخاذ القرار أشم فيها طعم الذكريات.

المؤلفة في سطور

* د/ عطيات فتحي ابراهيم أبو العينين

* مقدمة برامج بالإذاعة والتلفزيون.

* الجنسية: مصرية

* للتواصل

attaneen@hotmail.com- attaneeeen@yahoo.com

المؤهلات الدراسية:

- 1- ليسانس آداب قسم علم النفس جامعة القاهرة
- 2- تمهيدي ماجستير قسم علم النفس جامعة عين شمس
- 3- ماجستير في الآداب والفلسفة قسم علم النفس كلية الآداب جامعة عين شمس - بتقدير امتياز . موضوع الرسالة/ الاغتراب النفسي لدى الشباب في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية.
- 4- دكتوراه في الآداب والفلسفة قسم علم النفس بمرتبة الشرف الأولى . وكان موضوعها : «ديناميات الاختيار الزوجي وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية.

الإهتمامات الأخرى:

- كاتبة للقصة القصيرة

- تكتب المقال الأدبي

- تقوم بعمل أبحاث ودراسات أدبية ونفسية

أعمال منشورة

- 1- أطفال حكموا العالم دار فرحة 2003 م
- 2- ضرتي مجموعة دار النيل قصصية 2005م
- 3- مرارة المشمش مجموعة قصصية الهيئة العامة للكتاب 2008م
- موسوعة أطفال حكموا العالم تصدر عن دار المعارف صدر منها :
- 4- الاسكندر الأكبر 2006م
- 5- بطرس الأكبر 2006م
- 6- بيبي والقرم دنج 2007م
- 7- الحاكم بأمر الله الفاطمي 2008م
- 8- الامبراطور المغولي أكبر 2008م
- 9- خمارويه والأسد زريق 2009م
- 10- الناصر محمد بن قلاوون 2009م
- 11- بيبي قاهر الرمال روايات الهلال للأولاد والبنات 2008م
- 12- شبابنا بين غربة واغتراب صدر عن الهيئة العامة للكتاب 2007م
- 13- تيجان فوق روءس صغيرة صدر عن الهيئة العامة للكتاب 2007م
- 14- مشرفة أينشتين العرب، دار الفاروق ،سلسلة العلماء العرب 2009م

15- مشرفة عاشق الذرة، دار المعارف، سلسلة أفكار غيرت العالم 2010م

دراسات نفسية نشرت بالمجلات:

_ الإغتراب والشباب : دراسة نفسية لمفهوم الإغتراب نشر بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب 2007م.

- الزواج والتوافق النفسي: دراسة نفسية نشرت بمجلة علم النفس بالهيئة العامة للكتاب .

- دراسة استطلاعية عن المشكلات التي تعاني منها الطالبات السعوديات في كلية التربية للبنات بالباحة بالمملكة العربية السعودية، مجلة علم النفس عدد يناير -يونية 2009م.

- الطلاق ظاهرة العصر: سلسلة اقرأ، دار المعارف 2010م.

عضوية الجمعيات

- عضو اتحاد كتاب مصر

- عضو نادي القصة.

- عضو جمعية الكاتبات المصريات.

٢٥

الفهرس

104	النیشان
107	أبله وداد
110	أستاذ زاهر وأبله عصمت
118	عصاية الغلية
121	عفريت الأستاذ عبد القادر
124	أبله سعاد وإلهام الشعر
128	صورة على الجدار
132	بياع البطاطا
135	النقيضان
138	المروءة والمكحلة
144	البراوقة
150	الهلاهب
154	العقرب
160	الانسلخ
163	المقعد الخالي
166	إلا جدتي
170	ساعة جدي

3	طعم الذكريات
13	بنت رأوه
20	حقبتي الفرعونية
26	المصحى
33	ليلة زفاف
39	سر اللوحة
47	النص بالنص
51	صورة طبق الأصل
54	السوار الذهبى
65	الغوص
69	البصقة
73	القوقعة
77	الخالة ربحانة
85	عربة القمامة
89	ثورة المرض
93	مرارة المشمش
97	الصفعة
102	رائحة الذكريات